سلسلة منشورات
مركز الحسيني للبحوث والتوثيق
رقم ٢

رسالتان في التصوف

الأولى

لماذا التجديد في التصوف الإسلامي

ورقة مقدمة في المؤتمر الحادي والعشرين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي نظمته وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية
في الفترة من ٨-١١ ربيع الأولى ١٤٣٠هـ ٥-٨ مارس ٢٠٠٩م بالقاهرة

والثانية

التصوف شريعة وطريقة وحقيقة وغايته التزكية

بقلم
الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني
رئيس هيئة الإفتاء بنيجيريا ورئيس المجلس الإسلامي النيجيري

من منشورات
بيت الحكمة
بحائط مسجد الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني
ميدغري- نيجيريا- تلفون: ٠٨٠٥٢٦٦٢١٩٢٦

طبع باهتمام
مركز الحسيني للبحوث والتوثيق
alhucentre@gmail.com

سلسلة منشورات
مركز الحسيني للبحوث والتوثيق
رقم ٢

رسالتان في التصوف

الأولى

لماذا التجديد في التصوف الإسلامي

ورقة مقدمة في المؤتمر الحادي والعشرين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي نظمته وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية
في الفترة من ٨-١١ ربيع الأولى ١٤٣٠هـ ٥-٨ مارس ٢٠٠٩م بالقاهرة

والثانية

التصوف شريعة وطريقة وحقيقة وغايته التزكية

بقلم
الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني
رئيس هيئة الإفتاء بنيجيريا ورئيس المجلس الإسلامي النيجيري

طبع باهتمام
مركز الحسيني للبحوث والتوثيق
alhucentre@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الثانية

طبعة جديدة

منقحة ومصححة

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

طبع باهتمام
مركز الحسيني للبحوث والتوثيق
alhucentre@gmail.com

يطلب من
مكتبة الجندي
٥١ سوق أم الغلام - ميدان سيدنا الحسين
القاهرة - مصر ٠٢-٢٥٩٠١٥١٨

سلسلة منشورات
مركز الحسيني للبحوث والتوثيق
رقم ٢

لماذا التجديد في التصوف الإسلامي

ورقة مقدمة في
المؤتمر الحادي والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذي تنظمه
وزارة الأوقاف - بجمهورية مصر العربية
تحت رعاية
فخامة السيد الرئيس محمد حسني مبارك
في الفترة من ٨-١١ ربيع الأول ١٤٣٠هـ- مارس ٢٠٠٩م - القاهرة

بقلم
الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني
رئيس هيئة الإفتاء والمجلس الإسلامي النيجيري
أبوجاء - جمهورية نيجيريا الفيدرالية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله القائل في محكم تنزيله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢].

والقائل: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾

[الشمس: ٩-١٠].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله القائل: « **اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** »

رواه الحكيم الترمذي والخطيب البغدادي.

وعلى آله الطيبين الطاهرين المطهرين، وأصحابه قادة المتقين نجوم المهتدين، ورجوم المعتدين.

أما بعد،

فإن البشرية - اليوم- تمر بمرحلة تاريخية حرجة؛ حيث طغت فيها الحياة المادية، وانصب اهتمام الناس في الحياة على جمع حطام

الدنيا، والجري وراء زهرتها الفانية، فتفشي الظلم وانعدمت العدالة والمساواة، وضاعت القيم الإنسانية، وأهدرت الأخلاق وكرامة الإنسان، وعطلت الشرائع السماوية.

أما القوانين الوضعية فتطبيقها في أغلب الأحيان يكون بحسب إملاءات الأقوى؛ فظهرت ازدواجية المعايير وسياسة الكيل بمكيالين في المؤسسات الشرعية الدولية.

وبما أن التجديد والتجدد سنة من سنن الله في الكون، وأنه ضروري لتقدم الأمم وتطورها فلابد منه لهذه الأمة في دينها وفي شأن دنياها.

ولعلو وعظمة الجانب الروحي في الإسلام يجب أن يشمله التجديد، كما يجب تجديد الإيمان في القلوب إذا أصبح جل الناس من المؤمنين يجرون وراء متعة الحياة ووراء كل ما هو جديد آت من الغرب أو من الشرق، حتى ولو على حساب المساس بالثوابت في بعض الأحيان، فضعفت بذالك النفوس، وكلت الهمم، وماتت الضمائر، واتسم الجميع بالطمع والهلع؛ فأصيبت الأمة كلها بالذل والهوان بسبب اتباع الهوى وكثرة الاختلافات التي أدت إلى التفرق والتمزق، وبسبب إهدار المسلم لكرامة أخيه المسلم واستهانته بالحصانة الإلهية التي منحها الله تبارك وتعالى إياه.

ولقلة الاهتمام بتقويم سلوك الأفراد فضلا عن الجماعات وخاصة المنتسبين إلى التصوف، غابت سنة تزكيتها وتطهيرها عن رعوناتها، وانعدم التمسك والالتزام بالأصول الصحيحة للطريق، وحل مكانها الدعوى الباطلة والتفاخر والاكتفاء بالانتساب إلى الأكابر، والتمشيخ، مع عدم المعرفة بسنن هذا الطريق أصولا وفروعا، ومع شدة الغفلة عن مراقبة الله ما يجرى من شئونه على مستوى الخلق والأمر.

يحصل كل هذا في الوقت الذي نجد فيه أن القرآن قد دعا بحرارة شديدة إلى التقوى، وإلى الابتعاد عن غرور الدنيا، ودعا كذلك إلى الاهتمام بالآخرة.

فقد قال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١].

وقال أيضا: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ

ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس: ٢٤-٢٥].

وقال أيضا: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾

[الحديد: ٢٠].

وقال: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾

[آل عمران: ١٤].

وفي وسط هذه الظروف العصيبة التي نعيشها؛ حيث جنحت فيها بعض الأفكار إلى الجمود والتفريط، وأخرى إلى الإفراط في الجري وراء بريق التجديد إلى حد المساس بالثوابت، كان لابد من وقفة جادة مع النفس والضمير لمراجعة الحسابات والنظر في كيفية إنقاذ ما يمكن إنقاذه، والعودة بهذه الأمة إلى سابق مكانتها الرائدة، ولاحتلال موقع الصدارة.

ونحن إذ نثمن غاليا جهود جمهورية مصر العربية ممثلة في وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية في تنظيم هذا المؤتمر، فإنه يسعدنا ويشرفنا أن تتناول هذه الورقة - وهي بعنوان: **لماذا التجديد في التصوف الإسلامي** - مفهوم التصوف أولا، ثم مفهوم التجديد في التصوف.

كما ستتناول الورقة أيضًا أهمية العناية بالقلب، ودوره في تحصين الفرد وحماية مقومات الأمة الإسلامية، ثم تنتهي بالتوصيات.

مفهوم التصوف

التصوف في الحقيقة هو عبارة عن التزكية التي تكررت في عدد من الآيات القرآنية.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢].

وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

[البقرة: ١٢٩].

فالتزكية المشار إليها هنا وفي غيرها من الآيات هي التي يعنيها علماء الآخرة بالتربية الروحية، أو تطهير القلب وزكاة النفس.

يقول الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾

[الشمس: ٩-١٠]

فتزكية النفس هي تطهيرها وتهيئتها، لتكون مؤهلة لمناجاة الحق، ومؤهلة للدخول في حضرة الحق تبارك وتعالى في كل الأحوال.

فالتصوف عبارة عن منهج شامل ومتكامل، يؤثر على النفس بتعميق القيم والمبادئ المثلى في مظهرها وسلوكها.

فالتصوف قسيم لثلاثة أشياء تنتظمها معنى الدين والإسلام بمعناه الحقيقي الشامل ينتظمها كلها، فعندما نتناول الإسلام من حيث علاقته بالعقيدة والعبادة والخلق والتزام الصراط المستقيم، نجده يختلف عما يراد بكلمة الإسلام حين نقسم هذا المعنى إلى أجزاء، فيكون للإسلام معناه وللإيمان معناه وللإحسان معناه.

والذي يعنينا في هذا التقسيم هو قسم الإحسان، والإحسان يعني التحقق بالعبادة ظاهرا وباطنا، والعبادة هي السبب المباشر في إيجاد الخلق، فما من شيء إلا وهو عابد، وعبادته تسبيحه، وما من شيء في السماوات أو في الأرض إلا وهو ساجد، وسجوده هو عبادته.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ويقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ ﴾ [الحج: ١٨].

فالله خلق الجن والإنس ليعبدوه فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩].

وقال: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

ويقول: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

ويقـــول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ (٧٨) ﴾.

[الحج: ٧٧-٧٨].

كل هذه الآيات تؤكد أن العبادة هي ركن أساسي في مسيرة الإنسان في علاقته مع ربه.

والعبادة بمعناها الصحيح تعني تسليم الوجه روحا وعقلا بالخضوع والتذلل لله تبارك وتعالى، مقترنا ذلك بالمحبة والتعظيم والإجلال. وقد فسرها العلماء بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله تبارك وتعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال والأحوال.

وهي إما ظاهرة، وإما باطنة.

فالنوع الأول من ذلك: الشهادتان، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والهجرة، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي، عن المنكر، والاستقامة في القول، وذلك يشمل الصدق في مطلق الكلام، وتحري الصواب في الإخبار بالحكم الشرعي، وأداء الشهادة على وجهها، والإفتاء بالصحيح من الأقوال إن كان الشخص ممن يستفتي، والصدق في النطق بالحكم إن كان قاضيا أو حاكما، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الناس عامة وخاصة الأيتام والمساكين وأبناء السبيل، والمملوك آدميا أو حيوانا، وهكذا الجيران والأقارب، والوفاء بالعهود، وصيانة اللسان من الغيبة، والنميمة، والعضه، والبهتان، والكذب في جميع مظاهره، والمراء، والجدال، والسخرية، والاستهزاء، والهمز، واللمز.

فالابتعاد عن هذه الأمور كلها داخل في مسمى العبادة الظاهرة، وكذلك كف الأذى عن المسلم بتحريم عرضه، ودمه، وماله، إلا بطيب نفس، وجهاد المعاندين، والمنافقين، والمتحللين من أحكام الشريعة بالقرآن، والدعوة والدعاء والذكر والقرآن تقربا لله تعالى بكلامه، ونصرة المظلوم، وردع الظالم، والجهر بكلمة الحق دون زيغ أو روغان، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن على بصيرة المتابعة التامة لرسول الله ﷺ.

هذه كلها وجوه للعبادة، وسر الإحسان فيها أن يصدرها الإنسان في حال يشهد فيها معيته مع الله في حال كأنه يرى الله حين يتعاطاها، أو يؤمن يقينا أن الله تبارك وتعالى يراه. وليس هناك مقام ثالث في مشهد العبودية للإنسان، إذ لابد أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ومن أعظم العبادات كف أذاك عن أهل القبلة.

أما العبادة بمعناه الصحيح الأدق الذي ينتظم معاني أخرى باطنة، وهو النوع الثاني من العبادة فهي:

اسم جامع لاستقامة الأحوال.

ومناطها استقامة القلب، وصحته، وسلامته بتنويره بالإيمان بالله، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وخشية الله، وخوفه، ورجاءه، والتوكل عليه، والرضى عنه في جميع

أحكامه، والرهبة، والرغبة إليه، والمحبة الصادقة لله، ولرسوله، وللمؤمنين، ولدين الإسلام بالولاء، والانتماء المطلق الذي لا يتخلله التفات إلى غير الحق تعالى.

وهذه الأعمال وما شابهها هي العبادة ظاهرة وباطنة، ويلزم المسلم معرفة العلم المتعلق بها والفقه الظاهر الذي يتضمن ذلك كله.

فهذا المعنى الذي أشرنا إليه في العبادة هو الذي عرفه أهل السنة والجماعة من الفقهاء والمحدثين والصوفية بالإخلاص، وعلم الباطن، وعلم الإحسان، وأخيرا اصطلحوا على تسميته بـ(**التصوف**).

ولنطلق على إنسان وصف (صوفي) يجب أن يستقيم على منهج هذه الشريعة الإسلامية ظاهرا، وباطنا مظهرا، وسلوكا؛ ومن هنا قال قائلهم: (**كل باطن ينقضه ظاهر في الشريعة فهو باطل**).

المراحل التي مر بها التصوف

مر التصوف بثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى:

هي مرحلة من بعد الصحابة رضوان الله عليهم، وهي دائرة من عنوا برعاية الأحوال، وهي مرحلة تعكس فيها قلوبهم أحوالهم ويدل ظاهر حملة هذا النور على صفاء الباطن ونقائه، وقد قيل في مثل هذا:

(من كثرت صلاته بالليل أشرق وجهه بالنهار).

فتربية الحال هذه تكون فيها الأحوال الباطنة هي الحاكمة على الأقوال والأفعال، وهي أعلى مراتب الإيمان.

المرحلة الثانية:

تبدأ من زمن الإمام الحسن البصري إلى عهد إمام الطائفة الجنيد بن محمد القواريري البغدادي، وظلت الأمور على ذلك إلى زمن الغزالي والحاتمي حين تعرض التصوف إلى عوامل التطور، فدخلت قضايا التصوف النظري في صميم منهج العبادة والنسك ليتحول إلى مذهب ينتظم العقيدة مع التركيز على تجريدها، الأمر الذي سهل انتقال كثير من المصطلحات الفلسفية إلى هذا المذهب السلفي في أصوله وأسسه، إلى عهد قيام الطرق الصوفية التي توسعت وتفرعت

كالنقشبندية والقادرية والشاذلية وما تبعها، إلى عهد الشعراني الذي لاحظ انحرافا واضحا في سلوك بعض المتسبين إلى التصوف بغير حق، فقام في وجه هذا الانحراف الواضح.

والشعراني يعتبر مجدد هذه المرحلة، وهي مرحلة تجديد الأفعال، أي أن الصوفية في هذه المرحلة يعتدون بالفعل لا بالحال، وتكون هذه الأفعال فيما اصطلحوا عليه موزونة غاية الوزن بأوامر ونواهي شرع الله تبارك وتعالى، وبسنة رسوله ﷺ ، ولذلك كانت الأفعال مشرفة، ويدل فعل الإنسان على باطنه، ولذلك لم تكن أفعالهم مخالفة للهدى النبوي الشريف.

المرحلة الثالثة:

مرحلة الأقوال حيث كثر الكلام حتى أصبح العلم كلاما، والتصوف كلاما والتدين كله كلاما .

وقد خص الله تبارك وتعالى بعض عباده بسر الحال لكنهم غير ظاهرين، وحقق بعض عباده بسر الأفعال، ومع ذلك لم يستطيعوا الظهور به.

وفي مقام الأقوال هناك من أذن لهم في العبارة، وهي عبارة عن لسان رباني يعطيه الله تبارك وتعالى لعبده، فقد قيل: « **من أخلص لله، وزهد في الدنيا أربعين يوما أطلع الله الحكمة من قلبه على لسانه** » .

فبتحقق هؤلاء المخلصين يملأ الله تبارك وتعالى قلوبهم بالنور، فتنتقل حالة الطهر من أفعالهم إلى أقوالهم.

أما نحن اليوم فقد جعلنا الله تبارك وتعالى في مرحلة الأقوال.

هناك أناس اصطفاهم ربنا عز وجل فبدءوا بالأقوال ونضجوا، ثم تحولوا للأفعال فتربوا، ووصلوا إلى مقام الأحوال وقليل ما هم.

وهناك أناس أوقفهم الله تبارك وتعالى في مقام الأقوال لا يتعدونها، كالشجرة التي لا تثمر بطبيعتها.

ولذلك كانت قلوب الناس في السابق مليئة بالأنوار، وجوارحهم كلها مشغولة بالأفعال التي ترضى الله ورسوله، فأحوالهم تنهض المريدين وأقوالهم تدل على الله السالكين، فقد قالوا:

(لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله).

فكان الانشغال عندهم بالله أكثر من الانشغال بأي شيء آخر، فعمرت قلوبهم بالله، وفرغوا قلوبهم من كل شيء سوى الله فشغل الله جوارحهم بالله.

أما في هذا الزمن الذي نعيش فيه فقد امتلأت القلوب بالدنيا؛ فملأ الله الجوارح بأشغال الدنيا، ولا يملك الإنسان إلا الكلام، ولذلك نرى كلاما كثيرا من غير فعل.

ولذلك فإن الخوف من الله أمر يتعلق بالقلب ثم ينعكس على الجوارح، ومن الجوارح ينعكس على اللسان، فيترجم عما بطن في القلب ولذلك قالوا:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما

جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فمن زكاهم الله تبارك وتعالى وهداهم، وطهرهم، وحفظ ألسنتهم، تكون خطواتهم دائما متطابقة مع الأقوال التي تصدر منهم، فالأفعال كلها تأتي سليمة موافقة لما في القلب، وهذا يؤثر في اللسان أيضًا فتكون الأقوال كلها مطابقة لما اتصفت به الجوارح، ثم تكون مطابقة لما ثبت وقر في النفس.

أما اليوم ففي الأغلب ليست هناك خطوات، أو أفعال متطابقة بالمعنى المتقدم، فقد أصبح اللسان كالشجرة التي ليست لها ثمرة.

فالخوف من الله هو الثمرة، وهو قليل اليوم إلا من صانهم الله، وهؤلاء الذين صانهم الله تعالى يجري على ألسنتهم ما يفيد ، ويؤثر، ويحيى القلوب حتى إنهم إذا قالوا جملة واحدة صغيرة، واعتنى بها المسلم وحفظها وطبقها صار وليا كبيرا.

وفي المقابل، هناك من يتكلمون كثيرا، ولكن كلامهم لا يرد الناس أبدا إلى دائرة الحق تبارك وتعالى، فهم ممنوعون منه حتى إن

الناس لا يقربونهم، فكلامهم كله كلام ناشف خال من كل روحانية مثل فردة الكاوتش ليس فيه حياة.

بل أفضل منه أن تستمع إلى الحديث من خبير عن الصناعات، ومنافع الدنيا كالطب والهندسة.

لقد أصبح كلامهم في الدين بعيدا عن الدين، مكررا، ومملا، ومقلقا، ومزعجا، بل ومكدرا للأمن والاستقرار، كوعظ بعض الدعاة الذين يفترض أحدهم أنه وحده إمام الهدى والتوحيد، وبقية كل من في العالم مشركون ومذنبون النار أولى بهم.

لم يفترض الواحد منهم في نفسه يوما أن هؤلاء الناس فيهم أصحاء وفيهم مرضى، وأن وظيفته كطبيب معالج تتعلق بالمرضى، ووصف طريقة الوقاية للأصحاء، ولكنه يرى أن الناس كلهم مرضى، كالطبيب الذي يدخل سوقا ويقرر من تلقاء نفسه ويفترض أن كل من في السوق مريض، وأنه لابد له من حقنهم جميعا بالعقاقير الطبية.

فاعتبر هؤلاء الدعاة الكلام الظاهر من طرف اللسان عبادة، وأن الشجرة هي الثمرة، فتجد درس أحدهم ووعظه من أوله إلى آخره في أن المسلمين ضالين وشاذين ومشركين.

مفهوم التجديد في التصوف الإسلامي

التجديد في التصوف لا يعني التجديد في مبادئه وثوابته، وإنما يعني تجديد فهم الناس للتصوف، وتجديد المعنى القائم بالقلوب مما يتعلق بالعبادة، وتصفيتها مما يتعلق بالنفوس والقلوب، وتزكيتها؛ لأن للعبادة أساس كبير في مجال التصوف.

وتجديد فهم الناس للتصوف وتناوله، وتجديد علاقة الناس بهذا الجانب العظيم في حياة المسلم من حيث فهم هذا الجانب فهما صحيحا، ومن حيث علاقة الإنسان المهتم بهذا الجانب بالآخرين، أصبح أمرا ضروريا، وبعبارة أخرى فإن هذا النوع من الانعكاسات التي يحدثها التمسك بالتصوف في النفس هو التجديد.

يشمل تجديد التصوف في هذا الزمن أشياء كثيرة من بينها ما أشرنا إليه، وهو أن يلتزم المسلم في منهجه وفي سلوكه بالكتاب والسنة، وفي كل تحركاته وتعامله مع الناس -من جميع طبقات المسلمين- بحسب معطيات العقيدة الصحيحة التي انصبغ القلب بها، وهي جانب التزكية الروحية.

فالتجديد في التصوف يعني مد معنى العبادة ليشمل كل الجوانب التي سبق ذكرها.

فالتصوف في الحقيقة في عصرنا الحاضر يحتاج إلى كل هذه المعطيات، وإلى كل هذه الأسس، وكتب التصوف الإسلامي العملي تكفلت بشرح ذلك وتقريبه بل واستقصائه. فتوبة القلب، وإنابته، وتقواه، والصدق، والإخلاص، والمراقبة، والمشاهدة، والصبر، والرضا، والتوكل، والمحبة، والطمأنينة، والخشية، والرغبة، والرهبة، والخوف، والخشوع، و الرجاء أمور تدخل في مسمى العبادة الباطنة والتي يحتاج إليها الصوفي الحقيقي. وعلى الصادق أن يعكف على باب قلبه حتى يحقق هذا الجانب، ويتلو ذلك أمور من الأحوال الباطنة التي يتحقق بها أولياء الله من أهل العرفان.

وعلى كل حال، فنحن في هذا العصر نعلم أن الإسلام يحتاج إلى صوفي يظهر بمظهر الكمال، المظهر الذي لا يطغى فيه جانب على جانب، فبدلا من الاكتفاء بالشارات الظاهرة، أو إحاطة النفس بكثير من السلبيات واعتزال المجتمع، أو الميل إلى الخمول، وعدم مشاركة الأمة في أفراحها وأتراحها، يجب مشاركة المنتسبين إلى التصوف في بناء هذه الأمة بمقومات تحفظها من عدوان المعتدين، وتقويمها مسارها حتى تستطيع مواجهة كل تحديات هذا العصر.

إن تجنب وتلافي كل السلبيات في هذا العصر يوجبه الاتجاه الصحيح في مجال التزكية، وسلوك المنهج السوي القويم.

وجوب العناية بالقلب وإصلاحه كأساس للتجديد في التصوف الإسلامي

إن مما يجب الاعتناء به -وهو مما فرض الله علينا وكان مما اهتم به السلف- إصلاح القلب، بتقويم سلوكه وإعداده الإعداد الصحيح للتعامل مع الملك الحق المبين.

والقلب هو: القوة المودعة في الإنسان لإدراك العلوم واستحضارها بالفكر والتأمل، وهو الفؤاد، وهو في الحقيقة عين الروح، والعقل، والنفس، ولكن باعتبارات مختلفة.

وعلى الجملة، فإن إصلاح القلب فرض عين على العباد، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾

[الشمس: ٩-١٠].

ومعنى زكاها أي: طهرها من الكفر، والمعاصي بالإسلام والتوبة والعمل الصالح.

يقول علماء التفسير:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾أي: ظفر بجميع المرادات.

﴿ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ أي: طهرها من الذنوب، ونماها وأصلحها وصفاها تصفية عظيمة بما يسره الله تعالى له من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة.

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ أي: أغواها إغواء عظيما وأفسدها وأهلكها بخبائث الاعتقادات، ومساوئ الأعمال والأخلاق، وقبائح السيئات.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾. [الشعراء: ٧٥-٩٠].

وقال: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾. [ق: ٣١-٣٧].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ . [الأعلى: ١٤-١٧].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ . [الجمعة: ٢].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾. [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

[البقرة: ١٢٨].

ويقول المصطفى ﷺ : « **اللهم طهر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء، ولساني من الكذب، وعيني من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** » . رواه الحكيم الترمذي، والخطيب البغدادي عن أم معبد الخزاعية وهو ضعيف.

قال الغماري: لأنه من رواية فرج بن فضالة عن عبد الرحمن بن زياد عن مولي أم معبد عن أم معبد، فالمولي مجهول لا يعرف، والراوي عنه عبد الرحمن ضعيف، وكذا الراوي عنه فرج بن فضالة.

وفي الحديث: « الحلال بين، الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعي حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمي، ألا وإن حمى الله تعالى في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب » .

رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

ومن العوائق والأخلاط المانعة من صحة القلب واستقامته:

تعلقه بالكون الحادث، والجري وراء الآثار واحتجابه بها عن المؤثر، أو تقول وقوفه مع الأسباب دون مشاهدة مسبب الأسباب.

قال في الحكم: «كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته».

قال ابن عجيبة:

(يُشرق) بضم الياء أي: يستنير ويضيء.

و(صور الأكوان) أشخاصها، وتماثيلها الحسية والمعنوية.

و(الأكوان) أنواع المخلوقات دقت أو جلت.

و(منطبعة) أي: ثابتة، وانطبع الشيء في الشيء ظهر أثره فيه.

و(المِرآة) بكسر الميم آلة صقيلة ينطبع فيها ما يقابلها فيها، واستعيرت هنا للبصيرة التي هي عين القلب، التي تتجلى فيها الأشياء حسنها وقبيحها.

قال ابن عجيبة: جعل الله قلب الإنسان كالمرآة الصقيلة ينطبع بها كل ما يقابلها، وليس لها إلا وجهة واحدة، فإذا أراد الله عناية عبد شغل فكرته بأنوار ملكوته وأسرار جبروته، ولم يعلق قلبه بمحبة شيء من الأكوان الظلمانية والخيالات الوهمية؛ فانطبعت في مرآة قلبه أنوار الإيمان والإحسان، وأشرقت فيها أقمار التوحيد وشموس العرفان، وإذا أراد الله تعالى خذلان عبد بعدله وحكمته أشغل فكرته بالأكوان الظلمانية، والشهوات الجسمانية، فانطبعت تلك الأكوان في مرآة قلبه؛ فانحجب بظلماتها الكونية وصورها الخيالية عن إشراق شموس العرفان، وأنوار الإيمان، فكلما تراكمت فيها صور الأشياء انطمس نورها، واشتد حجابها فلا ترى إلا الحس ولا تتفكر إلا في الحس، فمنها ما يشتد حجابها وينطمس نورها بالكلية؛ فتنكر وجود النور من أصله، وهو مقام الكفر والعياذ بالله، ومنها ما يقل صداها ويرق حجابها؛ فتقر بالنور ولا تشاهده، وهو مقام عوام المسلمين، وهم متفاوتون في القرب والبعد، وقوة الدليل وضعفه، كل قدر يقينه وقلة تعلقاته الدنيوية وعوائقه الشهوانية وخيالاته الوهمية.

انتهى ج١ ص٣٣-٣٤.

فمتى تطهر القلب من أخلاق البشرية وهي الأوصاف المانعة من إخلاص العبودية فقد صفا، ومرد ذلك إلى أمور:

أولها: أن يكون القلب متعلقا بأخلاق البهائم والحيوانات، وهي شهوة البطن والفرج، وما يتبع ذلك من حب حطام الدنيا وزهرتها مما يوصل إلى التمتع بذلك ولذلك جاء في الحديث:

عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم، فإنه من كانت الدنيا أكبر همه أفشى الله ضيعته وجعل فقره بين عينيه، ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله تعالى له أمره وجعل غناه في قلبه، وما أقبل عبد بقلبه إلى الله تعالى إلا جعل الله قلوب المؤمنين تفد إليه بالود والرحمة، وكان الله تعالى بكل خير إليه أسرع» رواه الطبراني في الكبير.

ولقد أوضح الحق هذه المرتبة من أحوال النفس حين قال: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

فمتى تطهر القلب من هذه الأمور صفت مرآته.

ثانيها: عدم تخلقه بأخلاق الشياطين والسباع، كالكبر، والحسد، والحقد، والغضب، والحدة أي القلق، والبطر، والطيش وهو قلة

العقل، والأشر وهو الاستكبار، والمكر، والاستخفاف بقيم الناس وإهدار كرامتهم، وحب الجاه والرياسة، وحب المحمدة والثناء، والجفاء، والقسوة، والفظاظة، والغلظة وتعظيم الأغنياء وأصحاب الجاه، واحتقار الفقراء، والضعفاء، والمساكين وصلاحه مرهون بالخلاص من ذلك.

ثالثها: عدم تخلقه بصفات الشك في فضل الله ورزقه، تصديقا لوعد الشيطان وتكذيبا بوعد الله، وذلك بالجمع، والمنع، والحرص على عرض هذا الأدنى كخوف الفقر، وهم الرزق، والبخل، والشح، والرياء، والعجب، والرضا عن النفس، وقلة الإنصاف، والطمع في الخلق والخوف منهم، ومجموع هذه الأمور كلها هي الفتن في الدين وسبل الشيطان التي حذر الله من إتباعها.

وفي الحديث عن حذيفة بن اليمان ﷺ:

« تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير عودا، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربدا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه » .

رواه مسلم.

وفي حديث آخر عن أبي هريرة ﷺ قال:

«إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه، وهو الران الذي ذكر الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي في الشعب، وهو حديث صحيح.

رابعها: أن يتخلق بأخلاق أرباب الدعاوي من التطلع إلى أعلى الدرجات، والتشوف إلى مقامات أهل الكرامات؛ فينحصر جده واجتهاده كله في التظاهر بما يدعو العامة إلى اعتقاد الخصوصية فيه، والخلاص من ذلك شرط في الوصول إلى حضرة اليقين حضرة الشهود والعيان.

والقلب مهما جاهد فما دام يلتفت إلى هذه القواطع المعنوية فهو محجوب عن حضرة المحبوب.

خامسها: الجري وراء الكرامات، والمقامات، والمنزلة في قلوب الناس مما هو مرض نفسي يرجع إلى رعوناتها، وعدم زكاوتها وصفائها.

ومن أصيب بهذا النوع من الأمراض النفسية لم يدخل حضرة

القدس ما لم يتخل عن ذلك، ويتحلى بالضد من ذلك، وهو الزهد التام في هذه المقامات، وإظهار الكرامات، ومحاكاة أصحاب السر والناموس الإلهي ممن اختارهم الله حقا لتلك المقامات.

ولقد انقطع كثير من السالكين بالتفاتهم إلى مثل هذه الأشياء.

بل اشترط العارفون فصم القلب وقطع جميع العلائق بالمكونات، إذ تعلق القلب بالسوى هو جنابة القلب، ولا يدخل الحضرة قلب لم يتطهر من حجاب الغفلات أو يتحرر من عقال الشهوات فقالوا:

فلا تلتفت في السير غيرًا وكل ما
سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه إنه
عليك فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلي
عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب
فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

الخاتمة

مما تقدم نخلص إلى أن التصوف هو عبارة «روح الدين»، وكلمة الدين تشمل الإسلام والإيمان والإحسان.

التصوف يشمل أعمال الدين الباطنة، مثل الإخلاص في العبادة كالروح في الجسد، فالعبادة لا تصح إلا بالإخلاص يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

فالتصوف هو القيام بوظائف العبودية ، ورعاية حقوق الربوبية، وإعطاء كل ذي حق حقه.

هذا التصوف ليس شعارا كما هو الآن في بعض البلدان في إطار الطرق الصوفية له مميزات تتسم بالرايات والطبول، والمرقعات، والأناشيد، والاحتفالات، والجوقات، والهتافات، فكل هذه أشياء ظاهرية.

فالتصوف في الوقت الحاضر اهتمام بالمظهر والشكل أكثر من كونه منهجا يؤثر في قلوب الناس يهتم بالمضمون، وبالمعنى، وبتحقيق السلوك المستقيم الدال على العلاقة بالله والهادف إلى تحقيق السعادة في الآخرة.

إذن يجب أن يهتم تجديد التصوف اليوم بسلوك الفرد، وبمظهر الفرد. والمظهر هنا لا نقصد به الجوقات والأشكال والشارات التي يتسم بها الكثير من الصوفية وغيرها من الأشياء التي تميزهم عن بقية المسلمين. بل يجب أن يعتمد التجديد بالنسبة للمسلم الصوفي في هذا الزمن على شيء محدد، وهو أن يكون المسلم الصوفي داخل إطار الأمة الإسلامية يشاركهم في كل شيء، ولكن يتميز عنهم بحياة الضمير، وقوة الإيمان والإرادة، والاهتمام بكل دقائق القلب، وبزوايا النفوس حتى تزكو النفس، ويطهر القلب مما يؤثر على سلوك الإنسان عموما في أحواله، وفي أفعاله، وفي أقواله، أو بالعكس في الأقوال وفي الأفعال وفي الأحوال حتى يصبح هذا الإنسان مثالا للبذرة الصالحة، ومثالا للنواة الصالحة لأمة صالحة تصلح في الأرض، وتعمر الأرض بما يعمر الآخرة، وما لا يخرب الآخرة.

ومن هنا، فإن التصوف اليوم عبارة عن تجربة تحتاج إليها كل الأمة الإسلامية، ذلك لأن التصوف كامن في أقوال رسول الله ﷺ ، وفي أفعاله، وكامن أيضًا في أفعال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فليس هناك حديث يذكر عن النبي عليه الصلاة والسلام إلا وتجد فيه دنيا وآخرة وبرزخا لو شئت، وليست هناك قصة تحكي عن الصحابة إلا وتجد فيها دنيا وآخر ة وبرزخا لو شئت أيضًا.

ومما يؤسف له أن أغلب الناس اليوم لم يفهموا من التصوف إلا القشور فتركوا لب الموضوع ولم يهتموا به. فغاب معظم المنتسبين إلى التصوف عن مشهد الموفقين الذين صفت عقولهم، وقدست أرواحهم من شوائب الأوهام والخيالات، وزكت نفوسهم من رعونات الجري وراء السيادة، والعلو، والتنافس المحموم في المشيخة، وقد تركوا محراب العبادة، ومسجد العبودية مهجورا.

ولذلك يحتاج التجديد في التصوف منا اليوم إلى:

تجديد القلوب والنيات وتجديد الأحوال، والعودة بالناس إلى الله، والاهتمام بتحصين الناس ووقايتهم من التأثر بالمهلكات وهي كثيرة جدا، وأولها الدنيا، والشيطان، والهوى، والنفس، والناس كما تقدم.

فهذه الأشياء هي التي حالت بين الناس وبين الوصول إلى مرتبة القبول عند الله، وإلى مستوى التصوف الحقيقي.

التوصيات:

١- إحياء العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ على الطريقة التي مضى عليها السلف والخلف من أهل السنة والجماعة، الذين سرد أصنافهم الإمام عبد القاهر البغدادي في كتابه « الفرق بين الفرق » على مستوى السلوك العام، وعلى مستوى العقيدة على مذهب الأشعري والماتريدي، وعلى مستوى التصوف على طريقة الإمام الجنيد والمشايخ الذين سلكوا نهجه من أرباب الطرق السنية؛ لما فيه من تجليات الحال المحمدي في مقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان.

٢- إحياء تعظيم السلف والخلف من علمائنا، الذين أسهموا في بيان هذا الدين من فقهاء، ومحدثين، ومفسرين، وقراء، وزهاد، ونساك.

٣- بث روح النشاط في الجيل وحثه على طلب العلم والعمل به والإخلاص فيه.

٤- إحياء أدبيات الأخوة في الله، واحترام هذه الوشيجة الربانية الأزلية.

٥- تقويم النفوس، واستقامة الفرد، والاتزان في كل الأمور، والتزام المنهج السوي مظهرا وسلوكا.

ولا يسعنا أخيرا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر والثناء، ووافر التقدير والعرفان، لجمهورية مصر العربية حكومة وشعبا على كرم الضيافة، وحسن الإعداد لهذا المؤتمر الهام، سائلين الله تبارك وتعالى لهذا البلد العريق بقادته وعلمائه وأزهره الشريف -مثال الوسطية والاعتدال- دوام نعمة الأمن والسلام والاستقرار، ومزيدا من التقدم والازدهار.

كما أن شكرنا موصول أيضًا إلى أصحاب الفضيلة العلماء، وكافة الإخوة الحضور المشاركين في هذا المؤتمر بتخصصاتهم المختلفة، وأدوارهم القيمة المقدرة في إنجاح هذا المؤتمر.

وشكرا لكم على حسن الإصغاء،

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني

رئيس هيئة الإفتاء والمجلس الإسلامي النيجيري

ميدغري - ٢ فبراير ٢٠٠٩م

المراجع:

١- القرآن الكريم

٢- الجامع الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري.

وغيره من كتب الحديث.

٣- الكافي في علم التزكية للشيخ إبراهيم صالح الحسيني.

٤- إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي.

٥- الحكم لابن عطاء الله السكندري.

٦- إيقاظ الهمم شرح الحكم لأحمد بن عجيبة الحسني الفاسي.

٧- الزهد للإمام أحمد.

٨- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ بن حجر العسقلاني.

سلسلة منشورات
مركز الحسيني للبحوث والتوثيق
رقم ٢

التصوف
شريعة وطريقة وحقيقة
وغايته التزكية

بقلم
الفقير إلى الله تعالى
الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني
رئيس هيئة الإفتاء بنيجيريا ورئيس المجلي الإسلامي النيجيري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولى الصالحين القائل: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين، وإمام الأولين، المقول في حقه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه سادات المجاهدين، المقول في حقهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وبعد،

فإن التصوف منهج تربوي متكامل، يُمكن سالكه من اتخاذ القرار الصحيح، واختيار البديل الأفضل في الظاهر والباطن والمظهر والسلوك .

وهو -بقطع النظر عن هذه التسمية الاصطلاحية- موجود برمته في القرآن، والسنة المشرفة.

وهو الهدف الأسمى من إيجاد الوجود، والغاية الكبرى – العبادة –، وهو الغاية من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تزكية النفوس وتطهير القلوب، ذلك لأن الله تعالى -في جميع أحكامه أمراً ونهياً-

يريد أن يطهر جوهر هذه النفس الإنسانية ويزكيها؛ لتكون محلاً صالحاً للإكرام والإنعام والتقريب، يقول الله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا * ﴾. [الشمس: ٧-١٠].

ويقول تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾. [البقرة: ١٥١].

وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

[البقرة: ١٢٩].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾. [الجمعة:٢].

وفى الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

« **الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** ».

- فالتصوف شريعة:

لأنه عبودية مطلقة لله في جميع الحالات.

- وهو طريقة:

لأنه توجه ينظم القصد والعزائم والنيات ولا يدع شيئاً منها للحظ أو الصدفة.

- وهو حقيقة:

لأنه سلوك يرفع السالك إلى مقام المراقبة والمشاهدة للأسماء والصفات، مقترنا ذلك بالمعرفة بتجليات الذات.

وقد أشار إلى وسائل الوصول إلى مقام الحب الإلهي -الذي هو غاية العبودية- بقوله في الحديث القدسي -الذي رواه البخاري-:

« ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها الحديث » .

فلعظم الفضل الذي امتاز به الصحابة ببركة صحبته عليه أفضل الصلاة والسلام، يظهر أثر هذه التزكية في مدة وجيزة، وبدون أدنى كلفة سوى مجرد الإيمان مع المشاهدة، والأخذ في الأعمال الصالحة.

ولما تقادم الزمان جاء المتأخرون، فأرادوا ذلك فوجدوا أنفسهم في ظروف لا تمكنهم من نيل نصيبهم من التزكية بدون تجرد واعتزال، حتى يقوى أثر هذه التزكية عليهم، فيعودوا إلى الخلطة ومشاركة المسلمين في أتراحهم وأفراحهم، بذلك صارت العزلة من أهم أركان السلوك.

وإني لا أعتقد في التصوف غير هذا وثمرات هذا، ومن زعم أن هذا مأخوذ من أي مصدر من المصادر غير الكتاب والسنة فقد أعظم الفرية على الله، ولا فرق بينه وبين من يقول: إن الإسلام مأخوذ من المجوسية والبوذية.

أهل السنة والجماعة ومكانة الصوفية عندهم

إن الله تعالى بعلمه وإرادته جعل هذه الأمة تنقسم إلى قسمين:

أهل السنة وهم الجماعة والسواد الأعظم،

وأهل أهواء وبدعة، وهم من شذ عن سنن الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين.

وميزة أهل السنة أن الخلاف في الفروع لا يفرق جماعتهم، ولكن أرباب الأهواء فليسوا كذلك؛ فهم لا يعرفون الاختلاف ولكن الفرقة والشقاق.

وقد نهى الله عن الفرقة، وعذر الأمة في الاختلاف في بعض المفاهيم، لأن ذلك من سنة الحياة.

فمن هنا وجب أن يعرف المسلم أن الفرق المارقة -التي أخبرنا الله عن تفريقها، واختلافها على أنبيائها من بعد ما تبين لها الهدى والحق بغياً بينها- كلها إما من غير المسلمين، أو من تلك الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة، فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ... ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال تعالى محذراً من اتباع سبيلهم آمراً باتباع صراطه المستقيم: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن

سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾. [الأنعام:١٥٣].

ولادعاء كل فرقة من فرق أهل البدع كلها أنها أهل السنة يجب أن نبين حقيقتهم، ولقد أوضح علماء السنة من هم أهل السنة والجماعة، وذكروا جميع من يدخل في عدادهم، وبينوا الفرق التي تخالفهم مثل: الخوارج والقدرية والمعتزلة والجبرية والروافضة والمرجئة والبهائية والبابية والقاديانية والمشبهة المجسمة من فرق الحشوية.

وأما السادة الصوفية فلم يذكرهم أحد ممن يعتبر بقوله من أهل السنة في تلك الفرق، بل عدهم جميع أهل السنة في وسطهم، وأنهم الخلاصة من أئمتهم، لذا رأيت أن أنقل بيان أصناف أهل السنة والجماعة، عن الإمام عبد القاهر بن طاهر البغدادى أحد أئمة أهل السنة في كتابه "**الفرق بين الفرق**" وهو إمام هدى مرضى عند جميع الطوائف، وكان شديداً على أهل البدع والأهواء:

أصناف أهل السنة والجماعة

فقال رحمه الله:

"اعلموا – أسعدكم الله – أن أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف من الناس:

١- صنف منهم: أحاطوا علماً بأبواب التوحيد والنبوة، وأحكام الوعد والوعيد، والثواب والعقاب، وشروط الاجتهاد والإمامة،

والزعامة، وسلكوا في هذه النوع من العلم طرق الصفاتية من المتكلمين الذين تبرءوا من التشبيه والتعطيل، ومن بدع الرافضة والخوارج والجهمية والنجارية، وسائر أهل الأهواء الضالة.

٢- والصنف الثاني منهم: أئمة الفقه من فريقي الرأي والحديث، من الذين اعتقدوا في أصول الدين مذاهب الصفاتية في الله وفى صفاته الأزلية، وتبرءوا من القدر والاعتزال، وأثبتوا رؤية الله تعالى بالأبصار من غير تشبيه ولا تعطيل، وأثبتوا الحشر من القبور، مع إثبات السؤال في القبر، ومع إثبات الحوض والصراط والشفاعة وغفران الذنوب التي دون الشرك.

وقالوا: بدوام نعيم الجنة على أهلها، ودوام عذاب النار على الكفرة.

وقالوا: بإمامة أبى بكر وعمر وعثمان وعليّ، وأحسنوا الثناء على السلف الصالح من الأمة، ورأوا وجوب الجمعة خلف الأئمة الذين تبرءوا من أهل الأهواء الضالة، ورأوا وجوب استنباط أحكام الشريعة من القرآن والسنة ومن إجماع الصحابة، ورأوا جواز المسح على الخفين، ووقوع الطلاق الثلاث، ورأوا تحريم المتعة، ورأوا وجوب طاعة السلطان فيما ليس بمعصية.

ويدخل في هذه الجماعة أصحاب مالك، والشافعي، والأوزاعي،

والثوري، وأبى حنيفة، وابن أبى ليلى، وأصحاب أبى ثور، وأصحاب أحمد بن حنبل، وأهل الظاهر، وسائر الفقهاء الذين اعتقدوا في الأبواب العقلية أصول الصفاتية ولم يخلطوا فقههم بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة.

٣- والصنف الثالث منهم: هم الذين أحاطوا علماً بطرق الأخبار والسنن المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وميزوا بين الصحيح والسقيم منها، وعرفوا أسباب الجرح والتعديل، ولم يخلطوا علمهم ذلك بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة.

٤- والصنف الرابع منهم: قوم أحاطوا علماً بأكثر أبواب الأدب والنحو والتصريف، وجروا على سمت أئمة اللغة، كالخليل، وأبى عمرو بن العلاء، وسيبويه، والفراء، والأخفش، والأصمعي، والمازني، وأبى عبيد، وسائر أئمة النحو من الكوفيين والبصريين، الذين لم يخلطوا علمهم بذلك بشيء من بدع القدرية أو الرافضة أو الخوارج، ومن مال إلى شيء من الأهواء الضالة لم يكن من أهل السنة، ولا كان قوله حجة في اللغة والنحو.

٥- والصنف الخامس منهم: هم الذين أحاطوا علماً بوجوه قراءات القرآن، وبوجوه تفسير آيات القرآن، وتأويلها على وفق مذاهب أهل السنة، دون تأويلات أهل الأهواء الضالة.

٦- والصنف السادس منهم: الزهاد الصوفية الذين أبصروا فأقصروا، واختبروا فاعتبروا، ورضوا بالمقدور، وقنعوا بالميسور، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك مسئول عن الخير والشر، ومحاسب على مثاقيل الذر، فأعدو خير الإعداد ليوم المعاد، وجرى كلامهم في طريقي العبارة والإشارة على سمت أهل الحديث، دون من يشترى لهو الحديث، لا يعملون الخير رياء، ولا يتركونه حياء، دينهم التوحيد، ونفى التشبيه، ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى والتوكل عليه، والتسليم لأمره، والقناعة بما رزقوا، والإعراض عن الاعتراض عليه ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

٧- والصنف السابع منهم: قوم مرابطون في ثغور المسلمين في وجوه الكفرة، يجاهدون أعداء المسلمين ويحمون حمى المسلمين، ويذبون عن حريمهم وديارهم، ويظهرون في ثغورهم مذاهب أهل السنة والجماعة، وهم الذين أنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٨- والصنف الثامن منهم: عامة البلدان التي غلب فيها شعار أهل السنة، دون عامة البقاع التي ظهر فيها شعار أهل الأهواء الضالة.

وإنما أردنا بهذا الصنف من العامة الذين اعتقدوا تصويب علماء السنة في أبواب العدل والتوحيد، والوعد، ورجعوا إليهم في معالم دينهم، وقلدوهم في فروع الحلال والحرام، ولم يعتقدوا شيئاً من بدع أهل الأهواء الضالة، وهؤلاء هم الذين سمتهم الصوفية: "حشو الجنة".

فهؤلاء أصناف أهل السنة والجماعة، ومجموعهم أصحاب الدين القويم، والصراط المستقيم، ثبتهم الله تعالى بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفى الآخرة، فإنه بالإجابة جدير وعليها قدير". انتهى.

لقد جاء ذكر السادة الصوفية في الصنف السادس من هذا الترتيب، وهذا هو مذهب جماهير أهل السنة في أئمة التصوف السني، ولم يخالف في هذا أحد حتى من شذ عنهم في بعض الأصول أو الفروع كابن تيمية وتلامذته.

ونفهم من هذا التقرير وندرك أن ما فهمه أهل السنة من التصوف غير ما فهمه نابتة المبتدعة من ملاحدة، وكرامية هذا العصر من المجسمة الحشوية، والخوارج الجدد في نيجيريا أو خارجها.

قلت: إنهم كرامية، لأن عقيدتهم هي عقيدتهم، ومذهبهم هو مذهبهم.

وبمعرفة أصناف أهل السنة والجماعة يأمن الإنسان من الخلط

بينهم وبين غيرهم من فئات المدعين، من الخوارج والكرامية الجدد في هذا العصر، فكل من رأيته يحدد للحق سبحانه وتعالى المكان أو يصفه بصفات الحدثات فهو من الكرامية، وكل من رأيته يكفر المسلمين في مسائل الخلاف دون نظر ولا بصر فاعلم أنه من الخوارج الجدد.

وأغلب المدعين لاتباع السنة اليوم هم من هؤلاء الأصناف، ولا يمتون إلى السنة بأي صلة، فاحذرهم أيها المؤمن المشفق على نفسه، ولا تغتر بهم أو بأباطيلهم وضلالاتهم.

المذهب المعتدلة في العقيدة

إن القوم- ويراد بهم في عرف المتأخرين السادة الصوفية – ليس لهم مذهب سوى مذهب أهل السنة والجماعة، ومذهب الإمام الأشعري في صورته الأصلية هو أعدل المذاهب وأقومها، وإياك أن تسيء الظن به لما يشيعه بعض المتكبرين عليه في هذا العصر، فإن الخلاف بين الحشوية والأشاعرة قديم، ولا تعتبر أيها العاقل بالأسماء ولكن بالمسميات.

إن الإمام أبا الحسن الأشعري هو مجدد القرن الرابع الهجري؛ بسبب تصديه للانحرافات الفكرية في داخل المجتمع الإسلامي في عصره، لّما بدأ انتشار التأثر بالفكر الاعتزالي.

وفرقة المعتزلة قد ظهرت في أواخر أيام الدولة الأموية، وقام بتأسيسها واصل بن عطاء (٨٠-١٣١هـ)، وصاحبه عمرو بن عبيد على اجتهاده في العبادة وورعه وزهده، بفضل صحبته للإمام الحسن بن أبى الحسن البصري، ولما ظهرت هذه البدعة وتبين للمسلمين خطرها أنكروها غاية الإنكار، فقام أنصارها بالدفاع عنها، واعتزلوا مجلس الإمام الحسن البصري المتوفى ١١٠ هـ، فسماهم المسلمون حينئذ بالمعتزلة، ولقد صدق عليهم هذا الاسم؛ لشذوذهم عن سواد الأمة الأعظم، ومذهبهم قد جمع بين زيغ الاعتقاد وشطط الاجتهاد،

وهم من أشد الفرق انحرافاً عن الوحي، وتيار بدعتهم من أقوى التيارات لاستنادهم على سلطة الحكم أحياناً.

وتحددت أفكارهم في خمس نقاط هي أساس بدعتهم وعمود نحلتهم، وصاغوها تحت شعارات تستهوى الأغمار، وهذه الخمس هي: "التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" وشرحوا هذه المبادئ بطريقتهم الخاصة، لا كما عرفها المسلمون الأوائل في عصر الصحابة وكبار التابعين، وبلغت هذه الفرقة أوج قوتها في عهد الخليفة المأمون العباسي (١٧٠-٢٤١ هـ)، وكان من المنتسبين إليها، وسعى بقوة السلطة، لأن يجعل الاعتزال مذهب الدولة الإسلامية الثانية، ولكن الله تبارك وتعالى قيض للإسلام من يقومون بالدفاع عن مقدساته ومعتقداته، بالصمود أمام جبروت السلطة وطغيانها، فظهرت معارضة أئمة المسلمين لهذا الاتجاه، وكان أفضل من أبلى في سبيل ذلك البلاء الحسن الإمام أحمد بن حنبل ورفاقه الكرام، فانكسرت بذلك شوكة العباسيين دينيا وسياسياً إلى حد كبير، فانحصرت بذلك بدعة الاعتزال مع بقائها واستمرارها في نطاق ضيق.

وأبو الحسن الأشعري كان من أقطاب هذا المذهب حتى هداه الله فتخلى عنه، وأعلن رجوعه المطلق عنه.

ففي أحد الأيام المشهودة في المسجد الجامع بالبصرة، إذ رقى المنبر ونادى بأعلى صوته: «من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وإن الله لا تراه الأبصار، وإن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع معتقد للرد على المعتزلة.»، فخرج مظهراً لفضائحهم ومعايبهم، ومنذ تلك اللحظة أصبح الأشعري حامل راية الانتصار لمعتقد أهل السنة، وسيفاً مسلولاً على أهل الاعتزال وسائر الفرق الضالة، حتى كسر نهائياً شوكتهم وأضعف - وإلى الآن- كيدهم ومكرهم، ومن هنا أصبح مذهبه أعدل المذاهب ومشربه أصفى المشارب.

ويدلنا على صدق هذا القول أننا إذا رجعنا إلى ما تقدم في هذا السياق، نجد أن مذهب الأشعري هو التوسط في الصفات بين نفى المعتزلة وتجسيم الحشوية، فقد أثبت ما أثبته الله من الصفات ونفى ما نفاه.

كما امتاز مذهب الأشعري بالتسليم المطلق لعظمة الله، وعدم إيجاب شيء عليه عزّ وجلّ بالعقل، ولعل هذا هو السر في ميل الجمهور من أهل المذاهب الأربعة إليه، فكان من أكبر أنصاره عدد كبير من المحققين، من بينهم: "القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المالكي، وأبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، وأبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد

بـن مهـران الاسـفراييني، والشـيخ أبـو إسـحاق إبـراهيم بـن عـلى بـن يوسف الشيرازي، والإمام الجويني، وابنه إمام الحـرمين، والإمـام أبـو حامد محمد بن محمد الغزالي، وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرسـتاني، والإمـام فخـر الـدين محمـد عمـر بـن الحسـين الـرازي وغيرهم.

وجاء مؤخراً محمد بن يوسـف السـنوسي فحـرر المسـائل وهـذبها، وسلك فيها طريقاً وسطاً يجمع بين النقل والعقل، مع التأويل المعتـدل القريب.

وأخيراً جـاء الشـيخ طـاهر بـن إبـراهيم فيرمـه الفـلاّني البرنـاوي، فلخص جميع آراء السنوسي في العقائـد في منظومتـه -التـي اشـتهرت عند الناس بالمنظومة الكبرى- نرويها عن شيخنا العـارف بـالله الحـاج أبي بكر عتيق، عن الشيخ محمـد النـاصر، عـن الشـيخ أحمـد كـبرا عـن المؤلـف الشـيخ طـاهر بـن إبـراهيم فيرمـه الفـلاّني، رحمـه الله الرحمـة الواسعة".

عقيدة السادة الصوفية بإجماعهم

أجمع الصوفية من أهل السنة على أن الله تعالى واحد، فرد، صمد، قديم، أزلي، باق، أبدى، وأن ما سواه فهو صنعه وخلقه.

لا شريك له، ولا ضد له، ولا ندّ له، ولا شبيه له، موصوف بكل ما وصف به نفسه من الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام.

مسمى بكل ما سمى به نفسه، ليس بجسم؛ فإن الجسم ما كان مُؤَلَّفاً، والمُؤَلَّف يحتاج إلى مُؤَلِّف.

ولا هو بجوهر؛ فإن الجوهر ما كان متحيزاً، والرب سبحانه وتعالى ليس بمتحيز، بل هو خالق كل متحيز.

ولا هو عرض؛ فإن العرض لا يبقى، ولأنه يحتاج إلى الجوهر، وهو سبحانه وتعالى غنى عن المحل.

لا يكيفه العقل، ولا يمثله الفكر، ولا تلحقه العبارات، ولا تعينه الإشارات، ولا تحيط به الأفكار، ولا تدركه الأبصار، والعقول محجوبة عن درك حقيقته؛ إذ العقول للعبودية، لا للإشراف على الربوبية.

وقالوا في الاستواء ما قاله مالك بن أنس رحمه الله، حين سئل عن

ذلك فقال: «الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.»، وكذلك مذهبهم في النزول وباقى آيات وأحاديث الصفات.

وأجمعوا على أن كلام الله تعالى قديم غير محدث.

وأجمعوا على جواز رؤية الله تعالى في الدار الآخرة بالأبصار، وأوجبوها بالآيات الظاهرة والأخبار الصحيحة، وإنما نفى الله تعالى الإدراك بالأبصار؛ لأن ذلك يوجب كيفية وإحاطة وليس كذلك الرؤية، والنبي ﷺ شبه النظر بالنظر لا المنظور بالمنظور إليه بقوله: "إنكم سترون ربكم... الحديث".

وأجمعوا على الإقرار والإيمان بجملة ما ورد فى الكتاب العزيز، وجاءت به الروايات الصحيحة عنه صلى الله عليه وسلم من إعادة الأرواح إلى الأموات، وبعثها للحساب والمجازاة، والجنة والنار، واللوح والقلم، والحوض، والصراط، والشفاعة، والميزان، والصور، وعذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، وإخراج قوم من النار بالشفاعة، وأن أهلها فيها مخلدون غير أهل الكتاب من المؤمنين فإنهم لا يخلدون في النار.

وأجمعوا على أنه خالق لأفعال العباد، وأن الخلق كلهم يموتون بأجلهم، وأن المقتول يموت بأجله، وأن الشرك والمعاصي كلها بقضاء

الله وقدره، من غير أن يكون لأحد من الخلق على الله حجة، بل لله الحجة البالغة، ولا يرضى لعباده الكفر والمعاصي، والرضا غير الإرادة، ويرون الصلاة خلف كل بر وفاجر.

ولا يوجبون الثواب بالطاعة ولا العقاب بالكبيرة، ويتبرءون من المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والمشبهة، والمعطلة، والخوارج، والروافضة، وسائر أهل البدع.

ولا يرون الخروج على الولاة، وإن كانوا ظلمة.

وأن محمداً ﷺ أفضل الأنبياء، وأن الله ختم به النبوة.

وأجمعوا على تفضيل الرسل على الملائكة، وأن بين الملائكة تفاضلاً كما بين الأنبياء.

وأجمعوا على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وأن من ترك الإقرار فهو كافر، ومن ترك التصديق فهو منافق، ومن ترك العمل فهو فاسق، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن المعرفة بالقلب لا تنفع ما لم يتكلم بكلمتي الشهادة إلا أن يكون له عذر يثبته بالشرع، ويرون الاستثناء في الإيمان من غير شك.

وأجمعوا على أن أفعال العباد ليست بسبب للسعادة والشقاوة، لقوله ﷺ : "السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه" فإن العقاب والثواب ليسا من جهة الاستحقاق، بل من جهة

الفضل والعدل والمشيئة، وأن الخوف والرجاء زمامان للعبد من سوء الأدب، وأن كل قلب خلا منهما فهو خراب، وأن الصفات الذميمة تنفى من العارفين وتحمد في حق المريدين، وأن العبد ينتقل في الأحوال والمقامات حتى يصير إلى نعت الروحانيين فتظهر عليه الكرامات، وأن الحب في الله والبغض في الله أوثق عُرَى الإيمان في الدين.

وأوجبوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن نبوة الأنبياء لم تثبت بالمعجزات، بل بإرسال الله تعالى إياهم ووجبه إليهم، وأما المعجزة فهي لإثبات الحجة على المنكرين، وأن الأنبياء متعبدون بإظهار المعجزة لإثبات الحجة، والأولياء متعبدون بكتمان الكرامة لدفع الفتنة.

وأجمعوا على أن إخبار الأنبياء بأمر محمول على القطع، وأما إخبار الأولياء بالبشائر فمحمول على الرجاء لا القطع، وأنكروا المراء في الدين، ومنعوا من المناظرة والجدال في أحكام الدين، ويرون الاقتصار على الأَدوَن من الثياب دون النفيس منها، والخلقان والمرقعات أفضل من الجديد من غير تحريم، لأن النبي ﷺ فعل ذلك وفَعَلَه أهل الصفة وغيرهم من أجلاء الصحابة، وفى البخاري أن ستين من أصحاب الصفة لم يكن لهم أردية.

فأما المذاهب التي أخذوا بها في الفروع فأوجبوا طلب العلم وتعلمه لقوله ﷺ: "**طلب العلم فريضة على كل مسلم**" واختاروا من المذاهب في أحكام الفروع مذهب فقهاء أصحاب الحديث، ويرون أن اختلاف الفقهاء في الفروع رحمة، للحديث الوارد في ذلك.

وأوجبوا طلب علم الحديث وسماعه وحفظه وروايته وكتابته، وعظموا المحدثين لأنهم أساس الدين وحراس السنة الذابون عنها، وعظموا الفقهاء والمتكلمين على طريقة أهل السنة والمفسرين لقيامهم بعلوم الدين وإظهارهم العلوم الخفية، وتقريرهم الأحكام بالأدلة، وردهم على المبتدعين والمخالفين خصوصاً الشيخ أبا الحسن، حتى قالوا: طَريقة أبى الحسن الأشعري هو باب الفتح، وقالوا -أي الصوفية-: لا تنال حالة سنية إلا بطريقة سنية.

براءة الصوفية من مذاهب الضلال

إن علم التصوف مثل علم التوحيد والفقه مستفاد من أدلة الشريعة، كما جاء ترتيب ذلك في حديث جبريل الذي تضمن بيان مقامات الدين الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان.

فاستنبط علماء الأمة من مقام الإسلام أحكام الشريعة، المشتمل عليها كتب الفقه، ومن مقام الإيمان أحكام العقيدة، وهو علم التوحيد، ومن مقام الإحسان أحكام التزكية الروحية، وهذا هو الإخلاص والتصوف، وهو بريء من جميع مذاهب الزيغ والضلال.

وعداوة بعض الناس للتصوف ليس لها دليل سوى التقليد الأعمى لبعض المذاهب البدعية، التي تكفر المسلمين بلا دليل سوى الوهم وإساءة الظن بخيار علماء الأمة وصالحيها، ومن هنا وجب علينا أن نشير إلى بعض المسائل الهامة التي تؤكد براءة الصوفية من المذاهب البدعية، كما شهد لهم بذلك أئمة الهدى من سلف هذه الأمة كالإمام أحمد بن حنبل وغيره.

إن السادة الصوفية في ماضي تاريخهم لم يخرجوا من خط أهل السنة، ومن نسبهم إلى أهل البدع والأهواء أو نسبهم إليهم فقد كذب وافترى.

واسمع الشهادة لهم بسلامة المعتقد، ومجانبة أهل الأهواء من شيخ أهل السنة وإمامهم الناطق بلسانهم صدر الشريعة الأصولي العالم المتفنن أبى منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفراييني التميمي ﷺ، -وهى شهادة ذات قيمة كبيرة لصدورها من إمام قد أحاط بمذاهب فرق العالم ومللهم ونحلهم، ثم أنه من العدول الثقات المعتبر بقولهم عند أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان، فقال رحمه الله في كتابه "**أصول الدين**" (ص. ٣١٥-٣١٦)-:

المسألة الثالثة عشرة في ترتيب أئمة التصوف والإشارة:

هؤلاء منهم إبراهيم بن أدهم، وإبراهيم بن سعيد العلوي صاحب الكرامات، وإبراهيم الخواص، وإبراهيم بن شيبان، وأبو سليمان الداراني، وأحمد بن أبى الحواري، وأحمد بن عاصم الأنطاكي، وأبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز، والفضيل بن عياض، والجنيد، وأبو الحسين النوري، وأبو القاسم الحكيم، وبشر الحافي، وإدريس بن يحيى الخولاني، وبنان الحمال، وذو النون المصري، وسرى السقطي، وأبو تراب النخشبي، وجعفر الخصاف، وجعفر الخلدي، وحاتم الأصم، وحمدون القصار، ومعروف الكرخي، وأبو على الروذباري، والمزين، وخير النساج، وابن عطاء، والجريري، والشبلي، ورُوَيْم، وسهل بن عبد الله التستري، وأبو حفص الحداد النيسابوري، وأبو

عثمان الحيرى، وأبو يزيد البسطامي، وعمرو بن عثمان المكي، ويوسف بن الحسين، وقبلهم الحارث بن أسد المحاسبي.

وقد اشتمل كتاب "**طبقات الصوفية**" لأبى عبد الرحمن السلمي على زهاء ألف شيخ من الصوفية ما فيهم واحد من أهل الأهواء بل كلهم من أهل السنة – سوى ثلاثة منهم – أحدهم: أبو حلمان الدمشقي فإنه تستر بالصوفية، وكان من الحلولية[1]، والثاني: الحسين بن منصور الحلاج وشأنه مشكل، وقد رضيه ابن عطاء وابن خفيف وأبو القاسم النصر آباذي، والثالث: القنّاد اتهمته الصوفية بالاعتزال فطردوه، لأن الطيب لا يقبل الخبيث، انتهى كلامه رضي الله عنه.

انظر إلى قوله: إن كتاب "**طبقات الصوفية**" لأبى عبد الرحمن السلمي اشتمل على زهاء ألف شيخ من الصوفية ما فيهم واحد من أهل الأهواء بل كلهم من أهل السنة سوى ثلاثة، وبين موقف السادة الصوفية من الجميع.

هذه هي عقيدة أهل السنة في التصوف وحملة علوم التزكية وورثة الحال المحمدي، وما يقوله أوباش المبتدعة – نكس الله أعلامهم – فليس لهم فيه سلف يرجعون إليه من بين أئمة الإسلام في هذه الأمة.

---

[1] في هذا البيان تصريح بأن الحلولية ليسوا من الصوفية عند سلفنا الصالح وما أضاف نحلتهم الباطلة إلى التصوف إلا أعداء الصوفية أهـ.

ولقد بينت لك حتى ابن تيمية وأصحابه ليس فيهم أحد ينكر التصوف بإطلاق، فقد جاء عنه في الفتاوى الكبرى قوله (ج٨ ص ٣٦٩):

"وأما أئمة الصوفية والمشايخ المشهورين من القدماء مثل الجنيد بن محمد وأتباعه، ومثل الشيخ عبد القادر وأمثاله فهؤلاء من أعظم الناس لزوماً للأمر والنهي وتوصية باتباع ذلك". أهـ.

ومن سياق هذه البيانات من علماء السلف الصالح فيما يتعلق بأمر القوم أو الولاية يجب عليك أن تضرب عرض الحائط بما يتفوه المأجورون من الكذابين الأفاكين، الذين تراهم في كل واد يهيمون، يكذبون على الإسلام وعلى القرآن في سبيل نشر بدعتهم الزائغة، فتراهم يحصرون أهل السنة والجماعة أو السلف في عدد قليل من علماء هذه الأمة تمادياً في الضلال وإمعاناً في التزوير والخيال، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

أذواق العارفين ومشاربهم

إن اسم العارفين يطلق في عرف علماء السنة على الأولياء من الذين اختصهم الحق بمدارك أعلى في الفهم عن الله، وفى الاستنباط من النصوص كتاباً أو سنة، فقد يفهمون من إشارة النص ما يعجز عن فهمه عامة العلماء، ولهذا يستشكل كثير من الناس ما يجريه الله على ألسنتهم من العلوم والمعارف؛ لدقة مداركهم وسمو مشاربهم فلا يفهمهم فيها إلا الموفقون أو من حسن الظن بهم.

وكثير من الناس يدخلون في كتبهم بسوء نية، فيحرمهم الحق من فهم ما فيها من دقائق العلم ورقائقه، فقد قال تعالى:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾. [الأعراف: ١٤٦].

والولاية ورد ذكرها في الكتاب والسنة قال تعالى:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾. [يونس: ٦٢-٦٣].

وللأولياء أهل الإيمان والتقوى المكانة الرفيعة بين أفراد الأمة الإسلامية، ولقد أعلم الله معاديهم بالحرب كما في الحديث الصحيح.

ولقد أطلقت الأمة هذا اللقب على عدد غير قليل من أئمة الهدى والرشاد، لما ظهر عليهم من وصف الاستقامة ونعت التقوى والإيمان، وحسن الظن بالله وبعباده دعامة كبرى في هذا الباب.

وأما أخبارهم وما رُوى عنهم من الأقوال والأفعال والأحوال، فكما هو معلوم من قواعد الشرع وأسس الطريق أنها تعرض على الكتاب والسنة، فما قبلاه قبل وما لا فلا، وما خفي علينا وجهه من ذلك توقفنا عن العمل به، ولا نرده عن تكذيب أو سوء ظن بالمنسوب إليه، إذ لا يحسن بنا أن نرد قولاً لأحد من الأئمة بغير حجة، كما لا يجوز لنا أن نعمل به بدون ذلك.

وكذلك نمسك عن الإنكار على من رأيناه من أهل العلم يعمل بذلك، ونحمله على أحسن المحامل إذا كان ممن له أهلية العلم والتحصيل؛ إذ من الممكن أن يكون قد أدرك له وجهاً لم نطلع نحن عليه، فلا نحجر على العلماء واسعاً، هذا كله فيما لم يصادم نصاً صريحاً أو يخرق إجماعاً صحيحاً؛ وذلك لأن الإجماع لا يستند إلا على دليل نقلي في الجملة، وإلا فنرده ولا نلتفت إليه ولا ننسبه لمن عزى إليه إلا ببينة، إذ أكثر هذه الأقوال التي تنسب إلى هؤلاء الأكابر غير مسندة

بطرق متصلة صحيحة، وقد تكون مكذوبة عليهم، والله يعلم المفسد من المصلح.

وأما ما يكتبه بعض مبتدعة هذا العصر وخوارجه، فلا يلتفت إليه لتعمدهم الكذب على أهل الله؛ لقلة ديانتهم، ولعدم اعتبار أكثرهم شرط الصدق والوثوق والعدالة فيمن ينقلون عنهم، بخلاف السلف الذين يعدون كلامهم من أعمالهم، ويتثبتون غاية في النقل فيما يتعلق بالدين والأعراض لديانتهم وتقواهم.

أما هؤلاء فقد يقبلون طعن الكافر والملحد في سادات الأمة من الصحابة والأئمة، فمن دونهم فضلاً عن آراء الفساق والمتحللين من عواصم العقيدة وحصون الشريعة اغتراراً بالله، أو طمعاً في ما في أيدي بعض الناس من دعاة الضلال، ورؤوس الخبال ممن خذلهم الله، وجعلهم عقوبة لكل ناكث أو متنكِّب من جهلة العصر.

وليكن في علم المطلع على أقوال أولئك الأئمة أنهم يجوز عليهم الخطأ في الاجتهاد، ولم تثبت العصمة لأحد منهم، فإن العصمة لا تثبت إلا لنبي.

أما الأولياء فلهم الحفظ فقط، وما ورد عن بعض الأئمة من إثبات حكم العصمة للقطب الجامع، فالمراد بذلك حد العصمة الأدنى، الذي هو الحفظ مع السكينة، وذلك من باب الاصطلاح،

ولا مشاحة في ذلك، وإلا فالإجماع منعقد على أن العصمة مختصة بالأنبياء فقط دون غيرهم من أهل دائرة السعادة، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ . [الأعراف: ٢٠١].

وفى حديث أبى هريرة في صحيح البخاري عن محمد بن عثمان بن كرامة، عن خالد بن مخلد، عن سليمان ابن بلال، عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر، عن عطاء ابن يسار عنه، أن رسول الله ﷺ قال -فيما يرويه عن ربه عزّ وجلّ-:

« إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته » .

فواضح في هذا الحديث أن الولي يتولى الله أمره ، ويوفقه في كل أفعاله وأحواله بحفظ جوارحه وأعضائه ، وهذا هو الحفظ عند القوم.

فإذا جاز ذلك في حقهم، فكذلك يجوز في حقهم النسيان والسهو والغلط.

وقالوا رضوان الله عليهم:

أنه كذلك يجوز في حقهم الوقوع في الذنوب كبائرها وصغائرها، غير أنهم لا يتعمدون فعل شيء من ذلك، ولا يصرون عليه بعد الذكر، فلا يتعمدون خلاف السنة، ولا يقصدون المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة عمداً.

هذا هو الحق الذي لا يتأتى خلافه، ولا يتعين سواه، كما ذكره القشيري وغيره عن سيد الطائفة الجنيد رحمه الله.

وهم في قضايا العلم يجتهدون كباقي الأئمة المجتهدين، ويقع في اجتهادهم الخطأ، والخطأ في الاجتهاد في فروع العلم لا يكفر به، بل ولا يأثم المجتهد المخطئ على ما وردت به السنة المحمدية، فعن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » .

أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

ورواه الشيخان، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه أيضاً من حديث أبي هريرة ﷺ قال:

« **إذا اجتهد الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر** » .

فقد دلت السنة على أن المجتهد مثاب في كلا حالتيه، الإصابة وحالة الخطأ .

وليكن هذا الحكم عاماً شاماً لعلماء الآخرة مثل الفقهاء في الأصول والفروع، وذلك فيما يجوز الاجتهاد فيه مما يمكن حمله على النصوص.

التلقي عن الحق تبارك وتعالى

يقول الحق تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [الأنفال: ٢٩].

إن استقبال النفحات الربانية، والفيوضات الرحمانية، ابتداء من الهداية إلى مستوى الفهم عن الله كله داخل في مفهوم التلقي عن فيض الحق.

فالإنسان حين يعمل الاستخارة النبوية ينتظر ما ينشرح له صدره، وتطمئن إليه نفسه من البدائل، فهذا الذي يثلج الصدر هو إلهام تلقاه المؤمن من حضرة الحق تبارك وتعالى، ومن هنا ندرك أن التلقي الذي جهله كثير من العامة، أو خبط فيه الأدعياء خبط عشواء، وادعوه على غير بصيرة، وأعطوه أكثر من حكمه، هو الأخذ من فيض الحق تبارك وتعالى كشفاً أو إلهاماً أو تحديثاً أو مكالمة أو إلقاء.

وهذه الأمور أثبتتها السنة، وشاهد وقوعها المسلمون، وما يقع منها للصديقين والمقربين من الأولياء والصالحين ليس فيه ما يعتبر تشريعاً أو حكماً جديداً، وكله معروض على الكتاب والسنة فما وافق قبل، وما خالف فحكمه حكم الرؤيا يؤول تأويلاً يليق به وإلا رد، وهذا مجمع عليه بين فقهاء الأمة.

والتلقي لا يكون إلا عن سبب تقدمه، ثم لا يقيد ذلك السبب الذي تقدم بكونه عملاً صالحاً أم عملاً عادياً؛ لأنه قد يكون تنبيهاً على خطأ ماض أو مستقبل ويكون ذلك من اعتناء الحق بالعبد.

والنفس بالفتح يقاربه، والفارق بينهما هو أن التلقي لا ينتفع به إلا عارف، والنفس يسكن إليه كل أحد إذ ليس فيه سوى البسط المحض، والتلقي كذلك إلا أنه لا يقيد بكونه بسطاً أو قبضاً، بل كل ما أفاد فكرة سماوية ونفحة إلهية، وأدرك به العارف مراده بدون إشارة فهو التلقي، ويشهد لهذا التلقي أصول ثابتة من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠].

وقال: ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٣].

وقال: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٨].

وقال: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣].

وقال: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٢٢].

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:]١٢٨.

أما من السنة فأحاديث كثيرة منها حديث أنس عن النبي ﷺ حيث قال: «**اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله لنفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله تعالى أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم**» .

رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في الفرج، والترمذي الحكيم، والبيهقي في شعب الإيمان، وأبو نعيم في الحلية وغيرهم، وأخرجه البيهقي أيضاً من حديث أبي هريرة.

ومن علامة صحة التلقي عدم تغيره في نفسه لأنه بمثابة الإخبار دون الحكم، ولكن ليس ذلك بمشروط في المحل، فإنه يمكن أن يتغير المحل القابل للعلم فيفسد بفساد المزاج، وهو عارض كالعمى والصمم ونحوهما كسائر الأمراض المغيرة.

والتلقي تارة يكون إلقاء في القلب، وتارة يكون سماعاً في جهة، أو في غير جهة.

والناس من أهل المعرفة فيه على أقسام:

فمنهم من يجتمع له الأمران: العلم والتعريف.

ومنهم من يدرك العلم ولا يحصل له التعريف.

ومنهم من يدرك العلم الإلقائي ولا يعلم أنه من عند الله فينسبه إلى غيره .

ومنهم من لا يدرك حلوله ولا يحس بشيء، بل لو قدرنا شعوره به لما ألقى إليه بالاً، بل قد يعتبره بجهل نوعاً من الوسوسة، كما ترى ذلك في الرؤيا لدى العوام الذين يعدون جميع المرائي بأنها أضغاث أحلام مخالفين بذلك أدب السنة، والسبب في ذلك هو استيلاء الطبيعة على العقل، وغلبة ظلام المادة على نور الروح، فإن ذلك هو القيد الأول للروح عن العروج إلى عالم المعنى، فتنحصر تصرفات الروح كلها في المحسوسات، ولا تكاد تخرج من قيد الحس، ثم يتولد من ذلك عدم التصديق بالحق إذ جاء من غير الطريق المعهود.

وقد يعظم الداء بعدم التصديق أو التسليم لمن اختصهم الله بالفهم عنه من كمل المؤمنين أهل الصدق والولاية.

(والأصل في هذا الموضوع أن كل شيء من الإرادات، والنيات، والأفعال التابعة لها، والأكوان كلها جواهرها وأعراضها لا يدخل شيء منها في دائرة الوجود إلا بإذن الحق تقديراً وخلقاً، وبما أن حكم الله وقهره للأشياء حكماً وقهراً مباشراً فلا يكون توسط الأسباب، أو ارتباط بعض الموجودات ببعضها إلا في بساط الحكمة، ذلك لأن الحق رتب الأشياء في علمه قبل وجود شيء منها في عالم الظهور بمشيته وإرادته، ثم أظهرها بقدرته بحسب ما انكشف لنا في عالم الشهود.

فأول مرتبة يشهدها الموفق هنا هي شمول الخالقية كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

ثم مرتبة التفرد بالعلم بالأولويات في الأكوان، كما في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص ٦٨].

ثم مرتبة التفرد بالقيومية على جميع الخلائق، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

ومن هنا يتخطى العارف حواجز الكون كلها، ليرى المكون وحده تصدر منه الأوامر، والتوجيهات، والعطايا والهبات، والنفحات، والمنح، والفتوحات، فلا فرق بين ما يرد على القلب من المعارف أو ما يرد على المرء من النعم والعوارف، الكل من الله مباشرة وهذه الحال يجب أن تصحب العارف في صحوه وبقائه في جميع أحواله.

وتختلف أنوار المشاهدة باختلاف الاستعدادات، فمنهم المبالغ، ومنهم المقصر، ومنهم المعتدل، وكلما خفي السبب اتضحت نسبة الفعل إلى الفاعل الحقيقي.

ومثال ذلك شخص التقط شيئاً في الأرض لا يتردد في أن يقول: إن الله أعطاه كذا، مع علمه بأن اللقطة ضاعت من إنسان ما، بينما إذا أعطاه إنسان شيئاً غالباً يقول: إن الله أعطاني كذا على سبيل الحكاية

الخالية من المشاهدة أو المعرفة، ويغلب على قوله حكم المجاز، لأن رؤيته للمعطى المباشر تغلب على قلبه، والأولياء بحكم صفاتهم وكمالهم وقربهم من الله لا يشهدون الأفعال إلا صادرة مباشرة من الله.

فصحبهم نور المعرفة والتعريف في كل ما يتلقونه من حضرة الحق تبارك وتعالى، مع التبري التام من الحول، والدعوى، وكون الإنسان خليفة الله في أرضه أيده بنوره، وهيأ له أسباب سياسة العالم وقيادته، وجعله واسطة بين الحق والخلق .

وظهور هذه الوساطة يكون أقوى كلما كان الإنسان أمكن في الكمالات التي بها يكون إنساناً كاملاً، فيفهم عن الله، ويقوم على تنفيذ أحكامه، وإظهار سلطان إرادته فيما حوله من الموجودات تحقيقاً لمعنى العبودية المطلقة لله تعالى التي لم يخلق الله الثقلين إلا لها ولإظهارها.

حكم الآراء التي نقلت عن الأولياء

يقول الحق تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

إن جميع ما ينقل عن الأولياء على اختلاف طبقاتهم وتباين مشاربهم يجب أن ينظر فيه بحسن ظن وسلامة طوية مع اليقظة والبصر.

كما يجب أن يعرض على الكتاب والسنة .

ويجب أن تعلم أن التصوف مثل غيره من العلوم، فمن حيث هو عبادة وتصفية وأخذ بالعزيمة فرع من فروع العلم الشرعي، وأصحابه هم علماء الشريعة، فلا فرق بين الصوفي وغيره من علماء الإسلام العاملين بعلومهم السالكين طريق الآخرة.

وأما الإشارات التي كثر دورانها على ألسنة المتصوفين:

فما كان منها شرحاً لأوصاف القلوب وأحوالها تحسيناً وتقبيحاً وحثا وتوبيخاً، فمقبول مطلقاً.

وما كان منها متعلقاً بالله تعالى، فما ليس فيه شيء من الحلول والاتحاد نقبله.

وما كان فيه زيغ أو حلولاً أو إتحاداً صريحين، فنرده ولا نلتفت إليه .

وما كان فيه إشكال، فإن كان هناك مخرج بالتأويل من إشكاله أولناه وبينا فساد المعنى القريب، ولسنا مكلفين بقبول ما لم يثبت بنص الكتاب والسنة.

ومن زعم أن إبطال مثل هذه الإشارات المستورة ينافي التصديق فهو بعيد من التحقيق؛ فإن المؤمن لا يجوز له شرعاً أن يصدق بما لم يشهد بصدقه الكتاب أو السنة أو العقل المؤيد بنور الوحي.

وشيخنا التجاني ﷺ يقول:

"إذا سمعتم عنى شيئاً فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فاعملوا به، وما خالف فاتركوه" انتهى من الإفادة الأحمدية.

وبهذا تبرأ ساحة الشيخ من كل باطل يزوره المعرضون، وينسبونه إليه بغير حق.

حكم الكشف في الشرع

وأما الكشف فواقع بالمشاهدة للأولياء، ولكنه ليس من طرق أخذ الأحكام الشرعية، ولا هو من أقسام الوحي الشرعي الذي تثبت به الأدلة أو تنتفي، فإن غاية ما فيه هو إرشاد إلى بعض المعلومات الجزئية بلطف في نوم أو يقظة .

وهو في النوم قسم من المبشرات التي بقيت للأمة بعد النبوة التي أخبر بها رسول الله ﷺ .

وأما في اليقظة فيكون تحديثاً، ودرجة المحدث دون الصديق، وفوق الولي المقرب، ذلك لأن الصديقية مرتبة بعيدة المنال .

ويكون إلهاماً يلقيه الله تعالى في قلب الملهم بواسطة لمة الملك، وجرت العادة بنسبته إلى الله تعالى بلا واسطة وذلك بالنسبة إلى من دام شهودهم لله تعالى.

ولا أقول إن هناك حالة أكمل استعداداً، وأتم قداسة وطهارة من الحالة التي كان عليها رسول الله ﷺ، ومع ذلك فقد كان يقول: «إن **روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها»** فهذا من الوحي الإلهامي الذي تلقاه الرسول ﷺ من روح القدس عن الله تعالى.

وهذا الإلهام قد يكون في شكل علم ضروري، ويدركه الملقى إليه في نفسه، ويعلم أن الأمر كما في قلبه ويقع الأمر في الحس كذلك، وقد يكون في شكل صورة من صور الأحداث تحدث ويدركها المكاشف الملهم، وقد يفزع لما فيه فزع، أو يفرح لما فيه فرح في تلك الحالة، ويحدث ذلك الحديث بعد ذلك في وقته المناسب، ولا ينشغل الموفق ببعض التفاصيل الدقيقة كما تراه في بعض أخبار القصاص الجهلة .

وليس تحديد وقت الحدوث بداخل في ذلك، وما نراه مبسوطاً في تراجم بعض الأولياء من هذا القبيل فإما أن يكون من خصوصياتهم، وإما أنه من زيادات النقلة.

وعلى كل فإن أصل الكرامات ثابت، وقد يكون فى شكل هاتف يسمعه القلب ولا يحدد العقل جهته، فمنه ما يكون من جنس حديث النفس والوسوسة، ومنه ما يكون من الملائكة، فقد كان عمران بن حصين يسمع كلام الملائكة ولم ينقطع ذلك عنه حتى اكتوى فانقطع عنه كلامهم، فلما ترك الكي عادت إليه الملائكة فكانت تكلمه حتى مات كما هو في الصحيح والسنن.

وهذا النوع من الإلهام كله لا يتضمن شيئاً من التشريع أو النسخ لحكم تقرر في الشريعة، وغايته أن يفيد علماً ببعض الأمور التي تهم الإنسان في سلوكه، كالاطمئنان على بعض الأمور، والنفور عن

بعضها، والجزم ببعض المعاني المحتملة لنص من النصوص، بالإضافة إلى الإصابة في الرأي لنقاء السريرة وصفاء البصيرة، وكما يكون من الملك بالنسبة للصادقين من السالكين، فقد يكون من الشيطان إذا صدر من أهل الدعوى المتنطعين، وهذا ما أوجب عرض العلم المستفاد عن طريق الكشف على الكتاب والسنة، واعتبار الكشف أصلاً تؤخذ عنه الأحكام زندقة، تجعل النبوة من الأمور المكتسبة وأنت خبير بأن هذا النوع هو كشف الفلاسفة في رياضاتهم ومجاهداتهم، وهو الكشف الشيطاني.

والكشف كالفهم ليس له حكم الوحي، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فيما رواه زيد بن ثابت أن عمر بن الخطاب استأذن عليه يوماً فأذن له ورأسه في يد جارية له ترجله فنزع رأسه فقال له عمر: دعها ترجلك، قال يا أمير المؤمنين: لو أرسلت إلى جئتك، فقال عمر ﷺ: إنما الحاجة لي أني جئتك لننظر في أمر الجد، فقال زيد: لا والله ما يقول فيه، فقال عمر ﷺ: ليس هو بوحي تزيد فيه أو تنقص، إنما هو شيء تراه، فإن رأيته وافقني تبعته وإلا لم يكن عليك فيه شيء، فأبى زيد، فخرج مغضباً قال: قد جئتك وأنا أظنك ستفزع من حاجتي، ثم أتاه مرة أخرى في الساعة التي أتاه المرة الأولى فلم يزل به حتى قال: فسأكتب لك فيه كتاباً، فكتب في قطعة قتب، وضرب له مثلاً: إنما مثله مثل شجرة نبتت على ساق واحد، فخرج فيها غصن،

ثـم خـرج فى الغصـن غصـن آخـر، فالسـاق يسـقى الغصـن فـإن قطـع الغصن الأول رجع الماء إلى الغصن يعنى الثاني وإن قطع الثانب رجع الماء إلى الأول، فـأتى بـه، فخطـب النـاس عمـر، ثـم قـرأ قطعـة القتب عليهم، ثم قال: إن زيد بن ثابت قـد قـال في الجـد قـولاً وقـد أمضيته، قال: وكان أول جد كان فـأراد أن يأخـذ المـال كلـه مـال ابـن ابنـه دون أخوته، فقسمه بعد ذلك عمر بن الخطاب .

(رواه البيهقي في كتاب الفرائض من السنن الكبرى).

قوله: ترجله: أي تسرح شعر رأسه وتنظفه.

وأما القتب: فهو الرجل الصغير على قدر سنام البعير وهـو للبعـير كالإكاف لغيره.

هكذا الفهم عن الله، وهذه هي منزلتـه عنـد أصـحاب رسـول الله ﷺ، لم يعطوه منزلة الوحي أو اللزوم، فمهما يكن فهو فهم نتج عن اجتهـاد وإعمال فكر، فهو في نهاية المطاف فهم رجل مسلم إن شئت أخذت بـه وإن شئت أخذت بغيره مما يظهر لك أنه أقرب إلى الصواب.

ثم إن آخر المراتب في هذا الباب هي: مرتبة الفراسة .

وهى قد تصيب وقد تخطيء، لأن فيها نوع احتيال وتدبير.

وقد تجرى الكلمة على لسان الملهم وهو لا يظن أنها قد تكـون كـما قال فتكون كما قال، فإذا كان من المـوفقين رجـع فيهـا إلى الله مسـتغفراً

خائفاً ومشفقاً من أن يكون قد هلك، وأما المستدرج فيطير بها فرحاً، وقد يحمله ذلك إلى اتباع طرق الحيل الملتوية ليحوز على قدر أكبر من التقديس والاعتقاد من العوام، وهو هالك لا محالة.

وأحسب أن كل شخص يحاول الخوض بالهوى في مثل هذه الأمور قد يكون من الدجاجلة المبلسين الذين يجب فضحهم وتكذيبهم، ولو ادعوا الولاية والكشف، أو ادعى ذلك لهم غيرهم.

وكل من ادعى أن له نوراً في قلبه يهديه إلى العمل الصالح، وتعظيم شعائر الله تعالى، والتقيد بأحكام الشريعة لا تحيلاً ولا تستراً بل إيماناً خالصاً فقد صدق، إن واعظ الله موجود في قلب كل مؤمن.

ومن ادعى أن له نوراً يأخذ عنه أحكاماً تشريعية من غير رجوع إلى الكتاب والسنة فهو زنديق كبير، يجب فضحه وكشف حاله ليتجنبه المسلمون، ولا ينفعه ما يدعيه من الانتساب إلى أهل الله تعالى، ولك ما لأهل الله من الكشوفات والفتوحات والإلهامات والمحادثات والمكالمات والأنوار والأسرار إلى غير ذلك مشترط في قبوله موافقة الكتاب والسنة، ولا موضع للعصبية العمياء في الدين، فإن المسلم قبل كل شيء مسلم لله لا لغيره حتى يرى تقليد أهل الباطل دينا يجب عليه قضاؤه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠].

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ * مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٠-٣٢].

﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ ﴾ [هود: ١١٢].

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ * أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ * وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧-٩].

وليس التصوف غير تصفية الأعمال حتى تخلص وتصلح للقبول، وتصفية الأحوال حتى تزكو وترفع إلى مقامات الوصول، وانفتاح البصيرة حتى تفهم عن الله تجلياته بأسمائه على الأشياء عند ظهور آثاره عليها، وهذا هو ما ينبغي أن يتنافس فيه المتنافسون.

الإنسان إما مكرم أو مهان

إن القلب هو أشرف الأعضاء وأعظمها عند الله، يمكن أن يعرف الإنسان بواسطة ما يرد عليه منزلته عند الله إن كان هذا الإنسان من المكرمين أو من المهانين وبيانه في التالي:

إن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان، وجعله واسطة عقد جميع المخلوقات، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، وأوضح له سبب إيجاده له وهو العبادة، والإنسان نشأ على الفطرة الإلهية التي أشار إليها الحق تبارك وتعالى بقوله:

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ * تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَقَالُواْ كُونُواْ

هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
* قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ
وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ
لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم
بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ
عَـٰبِدُونَ * ﴾. [البقرة: ١٢٩-١٣٨].

هذه الصبغة الإلهية هي الفطرة المذكورة في قوله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * ﴾. [الروم: ٣٠-٣١].

وهذا الدين القيم هو الفطرة، وهو الاستقامة، وهو الصلاح الذي يتحقق بعد الإيمان والعمل الصالح في قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾

[العنكبوت: ٩].

ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾. [العنكبوت: ٦٩].

ويقول في آية أخرى: ﴿... قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

[المائدة: ١٥-١٦].

وقال في آية بيان الغاية من إيجاد الإنسان والجن: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. [الذاريات: ٥٦].

فإذا عرفت أن الإنسان خلق للعبادة، وأنه مادام في العبادة يكون على الفطرة وعلى الصراط المستقيم، ويكون محل نظر الله وإكرامه، ومتى انحرف عن هذا المهيع وقع في هوة السقوط من عين الحق ونظره، ويحل عليه غضب الله وإهانته.

ولكن كيف يعلم الإنسان أنه من المكرمين عند الله أو من غير المكرمين، وهذا ما ستعرفه في هذا البحث الدقيق، إن الإكرام الرباني للإنسان على قسمين:

إكرام كوني قدري، وإكرام اجتبائي اصطفائي.

فالإكرام الأول: يشمل كل بنى البشر، ومرده إلى ما لا اختيار للإنسان فيه، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وهذا الإكرام لا يترتب عليه تحديد مصير الإنسان الأخروي، لا سعادته ولا شقاوته، ولكن بهذا الإكرام يتمتع الإنسان بمميزات كثيرة من مواهب الحق الكونية، ونعمه الطبيعية.

وأما الإكرام الاجتبائي الاصطفائي فهو نوع من الإكرام الخاص، وبه يتحدد مصير الإنسان الأخروي، وتتعين منزلته وخصوصيته عند الله، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. [الحجرات: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩﴾. [الحج: ١٨].

فإذا عرفت هذه الحقائق، فلمعرفة منزلتك عند الله يجب أن تلاحظ قلبك وما يرد عليه:

فإن كان ما يرد عليه هو مقتضى السجود لله تعالى والتقوى له فاعلم بأنك محل إكرام من الله؛ لأن الله لا يستعمل في طاعته إلا قلوب المكرمين عنده.

وإن كان ما يرد عليك هو من نوع النقيض فاعلم بأنك لست محل إكرام الحق واجتبائه، وإنما أنت من المهانين المخذولين ممن ابتلاهم الله بعدله في دنياهم، فارجع إلى الله بالتضرع والدعاء، والتوبة على بساط العبودية، والرجاء حتى يجتبيك الحق، ويصطفيك ويتوب عليك.

ويمكن أن تستأنس لهذه المسألة بحديث سيدنا جابر بن عبد الله الذي يقول فيه: قال رسول الله ﷺ:

«إن لله عزّ وجلّ سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض، فاغدوا وروحوا في ذكر الله عزّ وجلّ، وذكروا الله بأنفسكم، من أحب أن يعلم منزلته عند الله عزّ وجلّ، فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله عز وجل ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه» رواه الطبراني في كتاب الدعاء.

ولتستدرك أمرك وتخرج من وادي الإهانة إلى رياض الإكرام والاصطفاء بما ذكرنا، يجب أن تلاحظ القلب وما يرد عليه ودقق النظر فيه فإن وجدت خيراً فبادر بالتنفيذ، واحمد الله، وإن وجدت غير ذلك فارجع إلى الله باكياً منكسراً، واحتم بلطفه حتى لا تهلك.

التوصيات:

١. ندعو إلى وحدة شيوخ ومقدمي كل طريقة، وابتعادهم عن جميع مسببات الفرقة؛ ليتمكنوا من رد اعتداءات المتطرفين والمكفرين من فرق الزيغ والضلال.

٢. وندعو جميع أئمة الطرق الصوفية -على اختلاف مشاربهم- إلى التعاون في جميع المجالات، كما ندعو أهل كل طريقة إلى التكاتف مع إخوانهم أهل الطرق الأخرى، وبذلك يتم لنا تفعيل دور الصوفية الدعاة الذين بشروا بالإسلام قديماً في إفريقيا وآسيا وأوروبا والأمريكتين.

٣. كما ينبغي أن نكسر حاجز الانطواء على النفس والتقوقع؛ لنتمتع بنعمة التعارف والتعاون، وبذل كل ما نستطيع من جهد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، وتنزيل معطياتها على واقع الأمة أفراداً وجماعات، مع الانفتاح على الآخرين بتنمية مواهبهم وقدراتهم على الإبداع في مجال المجاهدة والتنافس على فعل الخير.

٤. يجب تجنب الوقوع في شراك الغرور، والادعاءات الخاوية، ورؤية الفضل والنفخة الوهمية الكذابة، والاستعلاء على الناس، واستبدال ذلك بالتحلي بالتواضع، والصدق، والاستسلام للواقع بالتزام الوسطية، والبعد عن الإفراط والتفريط.

٥. والبعد عن حب الرئاسة، والعظمة، والكبرياء بارتداء ثوب التنازل عن التعالي بالخشية، والخشوع لله في جميع الأحوال.

٦. وعدم محاولة فرض شهود خصوصية الله في العباد على أشخاص معينين، وذلك لأن أمر الولاية مبناه على تحسين الظن بعباد الله، وليست الولاية ملكاً عضوضاً، ولا هي منصب سياسي يعطيه الناس لمن أرادوا بالهوى والتشهي، بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

٧. ترك المنازعات والتنافس الأرعن على المقامات؛ فإن ذلك من التكالب على الدنيا الذي تحرمه قواعد كل طريقة من طرق الأولياء رضوان الله عليهم.

٨. ونرى من الضرورة بمكان ونحن في عصر ثورة المعلومات، وتطور تأثير الكلمة غير المحدود، ينبغي أن تتجه أفكار السادة الصوفية المشاركين في هذا المؤتمر إلى إنشاء قناة فضائية صوفية تهتم بقضايا التصوف، يقوم فيها قادة التصوف الإسلامي بإعادة مشرب هذا المذهب الإسلامي العظيم إلى صفائه ونقائه، وإزالة وحذف ما لحق به من سلبيات أصابت جبينه الوضاء بالكثير من العيوب والتشوهات بفعل تصرفات جهلة الأتباع والأنصار شأن الجهل في كل شيء يلابسه.

هذه القناة يمكن أن تضع أيدي الباحثين على حقيقة هذا المذهب، وأن تضع أقدامهم على صراطه السوي في الفكر والعقد والقول والعمل.

ونرفع صوتنا باسم جميع المشاركين في الملتقى المبارك في أرض المغرب -أرض الإسلام، أرض العطاء الذي لا يعرف الحدود، أرض الأبطال المجاهدين، أرض وراثة سيدنا رسول الله ﷺ من الدوحة العلوية العريقة في عروبتها وإسلامها وتجديدها وعطاءها- نرفع صوتنا باسم الجميع إلى صاحب الجلالة الملك محمد السادس -نصره الله ومملكته الشريفة- في أن يتكرم -كما عهدنا ذلك منه في كل مواقع الشرف والكرم والمجد- لإنجاز هذا المقترح الحيوي بالنسبة إلى قطاع كبير من الأمة الإسلامية.

وهذا المقترح قد يغطي فضاء كبيراً من حاجات المتعشقين للمعرفة الصحيحة لهذا المذهب، التصوف شريعة وطريقة وحقيقة.

٩. كما نرى وجوب إقامة منتدى يضم نخب فاعلة، وعلماء لهم ثقالهم في مجال التصوف؛ لضمان استمرارية اللقاءات والعطاء، وجهود جلالة الملك محمد السادس الذي انطلقت من رؤيته الثاقبة للدعوة إلى هذا الملتقى للمنتسبين إلى التصوف.

وختاماً نتوجه بخالص الشكر والتقدير والإجلال إلى صاحب الجلالة والمهابة، أمير المؤمنين الملك محمد السادس ملك المملكة المغربية، الذي أنعم بالدعوة إلى إقامة هذا اللقاء الجماهيري للمنتسبين إلى التصوف الإسلامي، فبعد التكريم والحفاوة البالغة التي أوليتموناها، فقد قلدتموا جميع أهل التصوف في كل أنحاء العالم جميلاً لا ينسى ومعروفاً لا يبار، فلكم من الله الشكر الجزيل أطال الله عمركم، وأدام عزكم ومجدكم في خدمة الإسلام وأمته.

كما نتقدم بالشكر إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، وعلى رأسها السيد الوزير/ السيد الدكتور أحمد التوفيق الذي ترجم إرادتكم السامية، وجسد توجيهاتكم الملكية إلى هذه الأعمال الرائعة في هيئة هذا الملتقى الروحاني الرباني الرائع، فشكراً لجميع الذين نظموا هذا الملتقى وعملوا من أجل إنجاحه، فلهم الجزاء الأوفى من الله تبارك وتعالى.

بقلم

الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني

الفهرس

الموضوع	الصفحة
لماذا التجديد في التصوف الإسلامي	٣ - ٣٨
- مقدمة	٥
- مفهوم التصوف	١٠
- المراحل التي مر بها التصوف	١٦
- مفهوم التجديد في التصوف الإسلامي	٢١
- وجوب العناية بالقلب وإصلاحه كأساس للتجديد في التصوف الإسلامي	٢٣
- الخاتمة	٣٢
- التوصيات	٣٥
-المراجع	٣٧
التصوف شريعة وطريقة وحقيقة وغايته التزكية	٣٩ - ٩٣
- مقدمة	٤١
- أهل السنة والجماعة ومكانة الصوفية عندهم:	٤٥
(أصناف أهل السنة والجماعة كما يقرره عبدالقاهر البغدادي)	٤٦

الموضوع	الصفحة
- المذهب المعتدلة في العقيدة	٥٣
- عقيدة السادة الصوفية بإجماعهم	٥٦
- براءة الصوفية من مذاهب الضلال	٦١
- أذواق العارفين ومشاربهم	٦٥
- التلقي عن الحق تبارك وتعالى	٧١
- حكم الآراء التي نقلت عن الأولياء	٧٧
- حكم الكشف في الشرع	٧٩
- الإنسان إما مكرم أو مهان	٨٥
- التوصيات	٩٠
- الفهرس	٩٤

نبذة عن المؤلف

- يستهي نسبه للإمام الحسين بن الإمام علي - كرم الله وجهه -
- ولد - رضي الله عنه - في قرية من قرى ولاية برنو بنيجيريا
- نشأ - رضي الله عنه - في مدرسة القرآن وصاحب العلماء والمشايخ وحصل على إجازات عديدة

من المناصب الدينية التى تقلدها :

١- مؤسس ومرشد منظمة النهضة الإسلامية منذ ١٩٥٧م .
٢- عضو لجنة المدارس القرانية ١٩٦٣-١٩٦٨م .
٣- عضو لجنة الشورى الإسلامية لشمال نيجيريا ١٩٦٥م .
٤- رئيس لجنة شئون الزكاة في جماعة نصر الإسلام .
٥- مستشار الحكومة الفيدرالية في الشئون الإسلامية منذ ١٩٩٢م .
٦- عضو هيئة كبار العلماء في نيجيريا .
٧- رئيس مجلس إدارة تحفيظ القرآن في ولاية برنو منذ عام ١٩٨٦م .
٨- عضو هيئة الدعوة والإرشاد في ميدوغري منذ ١٩٧٦م .
٩- رئيس هيئة الإفتاء بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية لعموم نيجيريا منذ ١٩٩٢م .
١٠- مستشار عام في شئون العقيدة الإسلامية لكلية الكانمي منذ عام ١٩٧٤م
١١- مراقب كلية معلمي اللغة العربية في برنو ١٩٧٧م .
١٢- رئيس مجلس إدارة كلية الشريعة والقانون ١٩٨٤-١٩٨٩م .
١٣- رئيس مجلس إدارة شئون الحج في برنو ١٩٨٩-١٩٩٢م .
١٤- عضو مجلس أمناء وكالة العالم الثالث للإغاثة . كانو . بعثة نيجيريا .
١٥- الأمين العام المساعد للشئون الأفريقية في القيادة الشعبية الإسلامية العالمية ١٩٨٩م .

الأوسمة وشهادات التقدير التي حصل عليها :

١- وسام الجمهورية في العلوم والفنون . جمهورية مصر العربية ١٩٩٣م .
٢- شهادة تقدير من الاتحاد الوطني لطلاب ولاية برنو ١٩٨٥م .
٣- شهادة تقدير من اتحاد طلاب كلية الشريعة والقانون ١٩٩٥م .
٤- شهادة تقدير من طلاب كلية القانون . جامعة ميدوغري ١٩٩٥م .
٥- شهادة تقدير من قسم الإسعاف التابع لجماعة نصر الإسلام ١٩٩٦م .
٦- شهادة تقدير من منظمة فتيان الإسلام ١٩٩٤م .
٧- شهادة ووسام خدمة الدعوة الإسلامية من مجمع أبو النور الإسلامي ومجلس الإفتاء الأعلى بالجمهورية العربية السورية ١٩٩٧م .
٨- ميدالية الإمام أبو العزائم - القاهرة ١٩٩٨م
٩- وسام درع الدعوة من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا ١٩٩٨م .
١٠- وسام الريادة من الدرجة الأولى في خدمة الدعوة الإسلامية . مقدم من الأخ العقيد معمر القذافي قائد الثورة الليبية ١٩٩٨م .

التراث والمؤلفات :

للشيخ مؤلفات كثيرة زادت على بضع مئات منها ما هو مطبوع وما هو مخطوط .. منها قواعد تفسير القرآن . والفقه . أصول الفقه . ومصطلح الحديث . والمواريث . والبلاغة . والنحو . والسيرة والاقتصاد . والمنطق . والتصوف الإسلامي . والفلك . ... وغيرها .

مكتبة الجندى
ميدان سيدنا الحسين
ت : ٢٥٩٠١٥١٨